

الطَّوَّاف

مختارات شعرية
من قصائد البردوني

تُنشر لأول مرة

اختارها
محمد القعود

جميع الحقوق محفوظة لدار النشر

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه، بأي شكل من الأشكال، إلا بإذن خطي مسبق من الناشر.

All rights reserved

No part of this book may be reproduced in any form or by any means without the prior permission of the publisher.

رقم الإصدار

ردمك (1350) لعام 2019

الطبعة الأولى

2019

و س م

طباعة ♦ نشر ♦ توزيع

f t @WasmBookstore +90 531 857 32 02

@wasm_bookstore +97 470 701 068

info@wasm.pd.com +96 39 443 878 52

Halılar Cad Heveskar sokak no 14 Fevzi Paşa Fatih İstanbul

www.wasm.pd.com

بقاۃ ضوء

ويبقى رغم غيابه حاضراً بروعة إبداعه،
ودهشة بروقه، وعذوبة ينابيعه، وبلاغة إشراقاته،
ورؤى آفاقه..

إنه صياد البروق، وجوَّاب العصور، وطوَّاف الأزمنة،
الشاعر والمفكر اليمني عبدالله البردوني (١٩٢٩ - ١٩٩٩م).
حامل لواء القصيدة العربية التي تجددت به،
ومواطنها المخلص، المدجَّج بالروعة والعطاء الإبداعي
الخالق، ومهندس معمارها المبهر، ومايسترو الإبداع
الشعري العربي المعاصر..

عبدالله البردوني.. المبدع الكوني المشرق من
أرض بلقيس وسبأ.. الشاعر الاستثنائي الذي لا شبيه
له.. المتفرد بقصيدته، وإبداعاته الثقافية والفكرية،
والمؤسس لأروع وأبدع مدرسة في الشعر العربي
المعاصر.. «مدرسة البردوني الشعرية»، التي لا تشبه أي
مدرسة.. ولا غرابة إن قيل: الشعر العربي مرَّ بثلاث
مراحل: قديم، وجديد، وبردوني.

هذا الشاعر المتفرد بإبداعه الشعري وعطاءاته
الفكرية- رغم مرور عقدين على رحيله- إلا أنه
لا يزال حاضراً بقوة.. بقصيدته المتجددة، وبرؤاه
العميقة والموغلة في مشهديات أغوار الحياة والحلم
والغد.. والقارئ لواقعه وإيقاعاته المتناغمة والمتنافرة،
والمستشرفة ملامح المستقبل، وتطلعات الإنسان
وأشواقه لآتي الأجل والأبهى.

هذا الشاعر الكبير، الغائب الحاضر.. لا يزال
يتدفق من تخوم الغياب.. الغيب الحاضر.. والمشرق،
رغم عتمة الواقع العربي الراهن.. ولا يزال إبداعه
الشعري يفتح فضاءات جديدة، وينهمر كمطرٍ دافئ.
ترك الشاعر الكبير مجموعةً من الأعمال الشعرية
والفكرية المتميزة بالإبداع والتفرد.. وله أعمالٌ عدة
لم تُطبع نتيجةً لخلافات الورثة.. والتي نتمنى أن ترى
النور قريباً، لأنها من حق جمهور الراحل ولم تعد
ملكية خاصة.. ومن المؤسف أن تظلَّ حبيسةً الأدراج
بعد مرور عقدين على رحيل مبدعها الكبير.

هذه المختارات، التي احتوتها هذه المجموعة تحت عنوان «الطوَّاف»، هي باقة عِطْرَةٍ من آخر ما كتب البردوني.. من مجموعتيه اللتين لم تُنْشرا بعد.. أولاهما بعنوان «رحلة ابن شاب قرناها»، والأخرى بعنوان «العشق على مرافئ القمر».

ولعل قصيدة «الطوَّاف» أقرب ما تكون لخلاصة من جوانب حياة الشاعر الكبير عبدالله البردوني، رحمه الله، ومحطات هامة من رحلته وتجربته مع الحياة والشعر والإبداع..

القصائد المختارة في هذه المجموعة، هي قطراتٌ من نور، وباقَةٌ ضوءٍ وإبداعٍ ودهشة، ولوحةٌ رسمها وصاغها الشاعر الكبير بماءِ قلبه ونبضِ وجدانه، وبعبقريته الفذة وشاعريته المتفردة..

قصائدٌ مختارةٌ من حديقة البردوني الدائمة
الاخضرار.. من قصائده الجديدة.. والأمل أن نرى في
القريب صدور أعماله الشعرية، التي طال انتظارها،
وطالت لهفة محبي البردوني لمعانقتها واعتناقها.

محمد القعود

رئيس اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين - فرع صنعاء
المشرف العام لمندى البردوني الثقافي

الطَّوَّافُ

يا أهلَ هذي المآوي.. مَنْ يُؤاويني؟!
حَوَافِرُ اللَّيْلِ فَوْقِي كَالسَّكَاكِينِ
وَأَنْجُمُ اللَّيْلَةِ الْحَدْبَا حَصَى وَدَمٌ
يَسَّاكِبَانِ كَقُطْعَانِ الْبَرَاكِينِ
وَالرَّيْحُ تَعْوِي وَتَسْتَعْوِي الْفِجَاجَ كَمَا
يَلُودُ أَنْصَافُ مَوْتَى بِالْمَدَافِينِ

أَنَا الْغَرِيبُ.. وَمِنْ أَهْلِ الدِّيَارِ فَهَلْ
هُنَاكَ، أَوْ هَاهُنَا بَابٌ يُوَسِّينِي؟
هَذِي الْبُيُوتُ إِزَائِي قَعْرُ مَقْبَرَةٍ
نَادَيْتُهَا.. أَغْلَقْتَ أَبْوَابَهَا دُونِي
أَكُلُ حَيٍّ أَوْافِيهِ سَيَلْفِظُنِي
أَكُلُ قَفْرٍ إِلَى قَفْرَيْنِ يَنْفِينِي؟

الآنَ مِنْ رِيَشٍ تَطُوفَانِي أُصِيخُ إِلَى
مَدِينَةٍ مِنْ مَدَى صَوْتِي تُنَادِينِي
أُؤْمُّهَا.. أَغْتَذِي وَعَدًّا وَأَمْنِيَّةً
أُظْمَأُ إِلَى أَنْ أَشُقَّ الصَّخْرَةَ اسْقِينِي

هَلْ ذَاكَ صَوْتِي بِسَمْعِي؟ مَنْ وَعَاهُ كَمَا
وَعَيْتُهُ؟ وَهُوَ مِنْ قَلْبِي يُنَاجِينِي
يَا عَمُّ هَلْ ذَلِكَ الْآتِي لِذَاكَ صَدَى؟
مَاذَا يُذَكِّرُنِي مِنِّي وَيُنْسِينِي؟
قَلْبِي يُعَاكِسُ قَلْبِي.. مَنْ أَنَا؟ وَلِمَنْ؟
وَأَيُّ بَعْضِي عَلَى بَعْضِي يُقَوِّينِي؟

تَقُولُ صَوْتُكَ، هَا اسْمَعْ: مَنْ يَدُلُّ إِلَى
رُكْنٍ يُغَطِّيكَ بِي.. عَنِّي يُغَطِّينِي
مِنَ التَّسَكُّعِ آوْتَنَا مَوَاجِعَنَا
يَا لَيْلُ مَنْ ذَا يُؤَاوِي رِيحَ تَشْرِينِي؟
أَطِلُّ أَدْعُوهُ جَهْرًا لَا أَرَاهُ.. أَرَى
دَمِي أَمَامِي كَقِنْدِيلٍ يُحَيِّينِي
يَقُومُ يَقْرَأُنِي مِنْ كُلِّ جَارِحَةٍ
تُثْنِيهِ قُنْبَلَةٌ.. هَيْهَاتَ تُثْنِينِي
فَنَلْتَقِي قَامَةً أَقْوَى، يُحَوِّطُنَا
تَلُّ يَفْدِيكَ، أَقْمَارُ تُعَلِّينِي
وَهَذِهِ طَلْقَةٌ أُخْرَى.. سَأَسْأَلُهَا:
مَا سِرُّ مُطْلَقِهَا؟ مِنْ أَيْنَ يَرْمِينِي؟!

هَلِ الَّتِي سَبَقَتْهَا جَرَحَتْكَ كَمَا
نَقَّتْ دَمِي مِنْ فُسَادِ الْمَاءِ وَالطِّينِ؟
لِذَا تَدَلَّيْتَ عُنُقُودَيْنِ مِنْ أَلْقِ
قُرْبِي.. فَأَمْسَيْتَ بُسْتَانَ الْبَسَاتِينِ
وَهَلِ سَتَدْعُو الَّذِي يَجْتُنَا لِبَقَاءٍ؟
صَفَّى قَوَامِي، وَعَزَّانِي لِيُحْيِيَنِي
مِنْ آخِرِ التَّسْعِ وَالتَّسْعِينَ أَرْجَعَنِي
فِي لَحْظَتَيْنِ إِلَى خَمْسِي وَعِشْرِينَ

كَمْ سَنُ ذَاكَ الْمُنَادِي يَا (حُسَيْنُ)؟ لَهُ
 صَبْرُ النَّبِيِّينَ، أَوْهَامُ الْمَجَانِينِ
 فِي الْأَرْضِ يَضْرِبُ عَنْ أَرْضٍ بِلَا أَحَدٍ
 بِلَا سَمَاءٍ يُنَادِيهَا: أَظْلِيْنِي
 هَلْ عَادَ يَوْمًا إِلَيْنَا؟ مِنْ هُنَاكَ دَعَا
 فَتَى تَمَرَّسَ بِالدُّنْيَا وَبِالِدِّينِ
 أَهْلًا وَرَحَبًا، هُنَا بَيْتِي.. تُشْرِفُهُ
 اللَّيْلُ يَحْدُوكَ يَا «مُرْعِي» وَيَحْدُونِي
 هَلْ تَسْتَحِبُّ بِلَا خَوْفٍ تُرَافِقُنِي
 عِشْرِينَ مِترًا إِلَى أَقْصَى الْمَيَادِينِ؟
 مَتَى ابْتَدَأْنَا طَرِيقًا لَا نَتِمُّهُ
 هَلْ نَقْبَلُ النَّقْصَ يَا أَذْرَى الْمَيَامِينِ؟

هَلْ خِلْتَ «بَيْتَ عَلَايَا» شِبْهَ مُلْتَجِيٍّ؟
يُقَالُ يَبْدُو فَقِيرًا وَهُوَ قَارُونِي
أَدَهَى السِّيَاسَاتِ مِنْ مَجْلُوبِ سُوقَتِهِ
قَالُوا تُبَاعُ وَتُشْرَى فِي الدَّكَائِينِ
أَرِيدُ رَطْلًا وَنِصْفًا مِنْ بَضَاعَتِهِ
هَلْ سُوقُهُ غَيْرُ مُخْتَلِّ الْمَوَازِينِ؟

أَمَّا لِحَاهُ وَأَيْدِيهِ مُهَرَّبَةٌ
مِنْ عَرْفَجِ الْوِثْرِ، مِنْ أَشْوَاكِ «يَبْرِينَ»؟
هَلْ كُنْتَ حِينَ دَخَلْتَ الْبَابَ مُحْتَرِسًا؟
أَخَذْتُ خَوْفِي.. فَهَلْ أَتَاعُ تَأْمِينِي؟
دَخَلْتُهُ.. لَا نَأَى عَنِّي مَدَى قَدَمٍ
وَلَا دَنَا أَصْبَعًا مِنِّي يُلَاقِينِي
سَمِعْتُ نَافِذَةً قَالَتْ لِجَارَتِهَا:
عَلَيْهِ سَيْمَا «جَكَرَتَا» وَهُوَ «سَيُّئُونِي»
وَقَالَ رُكْنٌ لِثَانٍ: ذَاكَ مِنْ «حَرَضٍ»
تَظُنُّهُ مَغْرِبِيًّا، وَهُوَ «دُمُونِي»
وَقَالَ لِي سَائِحٌ: هَلْ مَرَّ مِثْلُهُمَا
غَانٍ وَغَانِيَةٌ؟ شَتَّى الْأَفَانِينَ

رَأَيْتُهُ غَابَ فِيهَا مِثْلَمَا غَرَبَتْ
فِيهِ، وَغَبْتُ بِنَعْلِي، مَنْ يُوَارِينِي
لَمْ لَا تُهْنِيهِمَا فِي فَجْرِ حُبِّمَا؟
قُلْ: لَيْتَهَا لِي، وَأَلْقَى مَنْ يُهْنِنِي

وَمَرَّ كَهْلٌ فَأَوْمَى: هَلْ سَتَمْنَحِي
 قَرَشِينَ، أَرْبَعَةً؟ خُذْ نِصْفَ تَمْوِينِي
 نَأَوَّلْتُهُ صُرَّةً فَارْتَدَّ يُخْبِرُهُمْ
 هَذَا خَطِيرٌ، وَيَمْشِي كَالْمَسَاكِينِ
 فِي كَفِّهِ صَفْحَةٌ تَحْبُو الْحُرُوفُ بِهَا
 حَبَوَ الصَّبِيَّاتِ فِي بَدْءِ التَّمَارِينِ
 وَدَسَّهَا مُبْدِيًا أُخْرَى يُعَبِّوْهَا
 مَيْمًا وَحَاءً، وَيَاءً كَ (ابْنِ خَلْدُونِ)
 وَقَالَتِ الْحُلُوءُ الْحُبْلَى لِكَاهِنَةٍ:
 قَتْلِي أَوْ أَنْ إِيَابِي جَدُّ مَضْمُونِ
 غَيْبِي ثَمَانِينَ يَوْمًا، لَسْتُ قَاصِرَةً
 سَتُطَلِّقِينَ وَلَيْدًا غَيْرَ مَقْرُونِ

وَلَا يُقَاسُ بِهَذَا أَوْ بِذَاكَ، وَقَدْ
 يُظَنُّ عَنَوَانٌ آتٍ غَيْرَ مَظْنُونٍ
 وَبَعْدَ أَنْ تَضَعِيهِ تَرْجِعِينَ لَهُمْ
 حَدِيقَةً مَا عَلَيْهَا لَمَسٌ مَفْتُونٍ
 تَضَاحِكِينَ بِوَجْهِ غَيْرِ مُنْكَشِفٍ
 تُخَاصِرِينَ بِبَطْنٍ غَيْرِ مَبْطُونٍ
 بُولِيسُ «بَيْتِ عَلِيَّيَا» كَالْجُدُوعِ، وَإِنْ
 طَالَتْ لُحَاهُكُمْ وَدَبُّوا كَالْعَرَاجِينِ
 قَالُوا لِمَنْ مَرَّ بَعْدِي: عُدْ لِيُحْضِرَهَا
 وَاسْتَعْجِلْنَهَا بِلَا عُنْفٍ، بِلَا لِينٍ
 وَاسْتَجُوبُوا «رَيْطَةَ» كَرَّمِ يَدِي قَبَضَتْ؟
 خَمْسِينَ، وَابْتَاعَ كِيلُوهَيْنِ مِنْ تَيْنِي

لَوْ قُلْتُ لَا، قَالَ: مَا فِي السُّوقِ مَضِيفَةٌ
 قَامُوسُهُ خُذْ وَسَلِّمْ غَيْرَ مَمْنُونٍ
 لَأَقِيتَهُ مِثْلُ سَكْرَى وَانْتَشَى فَرَحًا؟
 لِأَنَّهُ عَنْ أَبِي مِنْ بَعْدِ تَسْنِينِي
 هَاتِي دَرَاهِمَهُ، خُذْهَا فَمَا بِيَدِي
 إِلَّا يَدِي، وَهِيَ إِنْ مَدَّيْتُ تَكْفِينِي
 فَأَطْرُقُوا.. مَا دَرَوْا مَاذَا أَحَاقَ بِهِمْ
 أُمُّ الشَّجَاعَةِ أَنْثَى يَا «ابْنَ مَظْعُونٍ»
 قَالَتْ: أَلَا حَ لَكُمْ وَجْهُ الْحِسَابِ فَلَا
 تُجَرِّبُونَا بِأُخْرَى لَعَبَةِ الْهُونِ

أَنَا كَغَيْرِي، وَأَنْتُمْ مِثْلَ غَيْرِكُمْ
تُزَيِّنُونَ عَلَيَّكُمْ غَيْرَ مَزِينٍ

مَنْ بَاتَ زَوْجَ ثَلَاثٍ فَوْقَ «أُمِّ رَشَاءٍ»؟
مَنْ الَّتِي أَرْكَبَتْهُ مَتْنٌ صَالُونَ؟

مَنْ مِنْكُمْ قَالَ: أَعْلَتْهُ كَفَاءُ تُهُ؟
مَنْ قَالَ: وَجْهِي بِنَعْلِ الْحِظِّ عُرْبُونِي؟

مَنْ قَالَ: قَتَلُ رَيْسِ الْأُمْسِ رَفَعَنِي
مِنْ سَجْنِ عَامٍ إِلَى حُكْمِ الْمَسَاجِينِ؟

هَذَا «الْأَفْنَدِي» رَقَى.. أُمْسَى الرَّقِيبَ عَلَى
دَخَلِ الْمَوَانِي، وَمَخْرُوجِ الْمَخَازِينِ

كَمْ عُمُرُهُ؟ مَا وَشَى بَابُ بِمَوْلِدِهِ
وَلَا نَوَافِذُهُ بَاحَتْ بِمَكْنُونِ

أَنْتَ ابْنُ مَنْ يَا فَتَى؟ قَالَ: ابْنُ عَاصِفَةٍ
هَنَا رَمَتْنِي وَقَصَّتْ رِيشَ تَبِينِي
وَأَسْتَدْرَكْتَ فَأَرْتَنِي بَيْتَ وَالِدَتِي
قَصَدْتُهُ قَالَ: وَدَّعْ غَيْرَ مُحْزُونٍ
وَأَسْتَفْسَرْتَ خَاتِنَ الْحَيِّينِ جَارَتُهُ
فَقَالَ: كَانَ أَبُوهُ غَيْرَ مَخْتُونٍ
وَمَا اسْمُهُ؟ قَالَ: مَا تَدْرِيهِ مَدْرَسَةٌ
فَأَسْتَنْبَأْتُ أَنَّهُ تَلْمِيزٌ لَا تِينِي
وَعَابَ عَشْرَ سِنِينَ مَا أَفَادَ سِوَى
مَسْحِ النَّعَالِ، وَاهْدَاءِ الْفَسَاتِينِ
نَأَى عَنِ الْحَيِّ أَمِيالًا لِأَنَّ لَهُ
خَالًا يُنَادِيهِ: مَلْعُونُ ابْنِ مَلْعُونٍ

نَمَا إِلَى الشَّيْخِ أَنِي شَاعِرٌ.. فَدَعَا
أَمَانَةَ الْحِفْظِ تُعْطِيهِ دَوَائِرِي
وَقَالَ مَنْ ظَنَّنِي: هَلْ هَاتَفْتُكَ «مُنَى»؟
: مَنَّتْ كَثِيرًا، وَأَرْجُو أَنْ تُمَنِّينِي
وَقَالَ لِي صَحْفِيٌّ: هَلْ نَزِفٌ إِلَيَّ
شَيْخَ الْمَعَالِي أَتَمَّ الْخُرْدِ الْعَيْنِ؟
وَأَمَّنْتَ زَوْجَةَ الْمِذْيَاعِ ضَاحِكَةً
وَقَالَ مَنْ قَالَ: لَوْ قَصَّرْتُ يُقْصِينِي
فَقُلْتُ: يَا أَبَى هَجَائِي أَنْ يَسِفَّ إِلَيَّ
عِمَامَةٌ تَحْتَهَا الشَّيْخُ «ابْنُ شَعْنُونٍ»
إِلَيَّ أَهْدَى قَمِيصًا، لُبْسَ أَرْبَعَةٍ
لِكَي أَرَى كَيْفَ لَمْ يَبْخَلْ بِتَكْفِينِي

يَا شَيْخُ.. شَارَكْتُ «عِزْرَائِيلَ» شَمَلَتُهُ
تِسْعِينَ شَهْرًا، أَصَافِيهِ.. يُصَافِينِي
قَالَ الْفَتَى: أَتِنَعْتُ عِشْرُونَ مِنْ عُمْرِي
هَذَا، وَمَا لَاحَ لِي مَا أَنْتَ تُنَبِّئُنِي
أَنْظُرْ إِلَى ذَلِكَ الدُّكَانِ.. لَيْسَ بِهِ
شَيْءٌ؟ بِإِبْطِيهِ أَصْنَافِ الْأَقَانِينِ
نَعَمْ رَأَيْتُ قَفَاهُ عُنُقَ وَاحِدَةٍ
أَمَا لَدَيْهِ سِوَى خَمِرٍ وَأَفْيُونٍ؟
تِجَارَةُ الْمَوْتِ وَالتَّمْوِيتِ رَابِجَةٌ
وَالنَّاسُ مَا بَيْنَ غَبَّانٍ وَمَغْبُونٍ
هَلْ نَرْتَقِي التَّلَّ عَزْلًا؟ مَا أَرَدْتَ، مَعِيَ
هَمٌّ عَنِ التَّلِّ وَالْوَادِي يُعَنِّينِي

سِرُّ بِي إِلَى شَارِعِ الْمَأْمُونِ: أَيُّهُمْ؟
هُمْ سِتَّةٌ، لَيْسَ فِيهِمْ أَيُّ مَأْمُونٍ
أَلَا تَرَى لِمَعَانَ الدَّارِ نَقَصْدُهَا؟
فَرَدًّا وَأَحْمِيكَ عَنْ بُعْدٍ وَتَحْمِيْنِي
رَمَى إِلَى الدَّارِ عَيْنَيْهِ، وَقَالَ هُنَا
حِصْنٌ مَنِيعٌ وَمَحْفُوفٌ بِتَحْصِينِ
لَا حَظُّتُ أَشْبَاحَ جَنَّ حَوْلَ حَائِطِهِ
وَأَعْيُنًا مِنْ ثُقُوبِ السُّورِ تَشْوِينِي

لِمَ لَا تُبَادِئُهُ بِالتَّسْلِيمِ؟ أَمْنَحُهُ
مَنْ لَاحَ أَبَدِي لَهُ عُرْفِي وَقَانُونِي
هَلْ ذَاكَ بَابٌ.. وَأَعْلَنْتُ السَّلَامَ فَمَا
رَدَّ الْخَفِيرُ.. بَلَا دَاعٍ يُعَادِينِي
وَشَبَّ صَفَّارَةَ التَّنْبِيهِ فَاخْتَنَقَتْ
وَرَاخَ يَنْشُرُنِي حَدْسًا وَيَطْوِينِي
فَأَطْلَقَ الْحَارِسُ النَّعْسَانَ وَاحِدَةً
مَعْهُودَةً عِنْدَ خُدَّامِ السَّلَاطِينِ
وَاحْتَثَّتِ الطَّلَقَاتُ الْخَمْسُ أَرْبَعَةً
تَنَاهَشُوهُ كَأَنْيَابِ الشَّيَاطِينِ

كَانَتْ تَصِرُ الْمُدَى الْعَطْشَى بِأَعْظَمِهِ
كَمَا يُوسَّوْسُ قَصْرٌ غَيْرُ مَسْكُونٍ
وَكَا أَنْ يَنْظُرُ فِي بَيْضِ الْحَصَى دَمَهُ
شَعْرَيْنِ، مَا بَيْنَ مَنْثُورٍ وَمَوْزُونٍ

وَأَصْبَحَ السَّيِّدُ الْمَأْمُونُ مُنْقَسِمًا
بَيْنَ الْقَتِيلِ وَبَيْنَ السِّينِ وَالسِّينِ
مَاذَا أَقُولُ؟ إِذَا قَالُوا: أَرِيقَ دَمٌ
لَيْلًا عَلَى سَاحَتِي فِي عَامٍ تَعِينِي
اعلن «يَسَكُ» يا «يريمي»، أَنْتَ يَا ابْنَ أَبِي
سُدَّ النَّوَافِذَ، هَامِسَهَا: أَعِينِنِي
هَاتُوا الْقَتِيلَ كَمَا وَافَى بَعِمَّتِهِ
لَا تَتْرُكُوا حُمْرَةً، لَا وَهْمَ تَدْخِينِ

هَٰذِي حَقِيبَتَهُ مَشْحُونَةً كُتِبَا
عُجِمَ الْمَعَانِي فَصِيحَاتِ الْعَنَاوِينَ
عَرَفْتُهُ قَبْلَ فَتْحِ «السَّنَدِ»، كَانَ فَتًى
وَالْيَوْمَ كَالْكَهْلِ مِنْ شُمِّ الْعَرَانِينَ
وَمَا ادَّعَى «يَاسِرِيًّا»، لَا مِنْ «أَبْنِ سَبَا»
وَالْيَوْمَ لَا هِتْلَرِيًّا لَا سِتَالِينِي
يَا «سَعْدُ» خُذْهُ عَلَى سَيَّارَةِ ابْنِ أَخِي
إِلَى مَمَرٍ «ابْنِ آوَى» وَالسَّرَاحِينَ
مَرَّ الضُّحَى فَرَاهُ جُثَّةً.. فَبَكَى
وَخِلَّتُهُ قَالَ صَمْتًا: مَنْ يُرَثِّنِي؟
وَلَمْ أَشْتَأْهُ الْمُلْقَاةَ مُنْحَنِيًا
لَعَلَّ تَحْتَ الْحَصَى خَفَقًا سَيُغْنِينِي

مَنْ ذَا يُنْقِرُ أَضْلَاعِي وَجُمُجُمَتِي؟
 هَٰذَا الْمَسَامِيرُ أُخْرَى، عَكْسُ تَكْوِينِي
 رَفَرَفٌ قَلِيلاً وَطِرْفَوراً إِلَى كَتِفِي
 : أَشْرَقْتُ مِنْ دَاخِلِي فَاهْتَجَّ «تَكْوِينِي»
 هَلْ فِي عِظَامِكَ ضِدَّ الْمَوْتِ؟ أَمْ بِيَدِي
 لَوْ كَانَ بِي كَانَ أَدْنَى مِنْ يُوَاتِينِي
 لِأَنَّي زَمَنْ قَبْلَ الْإِنْسَانِ وَمَا
 يَدْرُونَ كُنْهِي، فَمَنْ ذَا سَوْفَ يُدْرِينِي؟
 مَنْ أَنْتَ الْجُمُعَةُ الْأُولَى مَضَى، وَآتَى
 يُذَكِّرُ السَّبْتَ.. مَنْ ذَا اخْتَارَ تَزْمِينِي؟
 وَاسْتَنْ عِيداً وَأَسْمَاءً هُنَا وَهُنَا
 تَوَطَّنُوا، وَأَدَارَ الْأَفُقُ تَوَطِّينِي

مَنْ أَقْلَمُوهُ وَمَنْ أَعْطَوْهُ تَسْمِيَةً
كَالنَّاسِ، هَذَا «شَامِيٌّ» وَذَا «كِئِنِي»

مَاذَا أَخْبِرُ عَنْ رِيشِي وَعَنْ فَلَكِي؟
مَنْ ذَا يُمَيِّزُ لَوْنِي مِنْ تَلَاوِينِي؟
الآنَ تَمْضِي كَشَحْرُورٍ عَلَى فَنَنِ
وَسَوْفَ تَمْتَدُّ مِنْ حِينٍ إِلَى حِينٍ
حَتَّى أُسْتَوَتْ قَبْلَ نِصْفِ اللَّيْلِ قَامَتُهُ
أَشَارَ أَوَّلُ نَجْمٍ: مَنْ يُسَمِّنِي؟
وَأَسْرَعَ «الثَّورُ» وَ«الْمِيزَانُ» فَاخْتَلَفَا
إِذْ قَالَ: هَذَا «شَبِيرًا»، ذَاكَ «ذَا النُّونِ»

وَحَنَّتِ الرِّيحُ بِاسْمِي كُلَّ رَابِيَةٍ
وَكُلُّ بَيْتٍ إِلَى بَيْتَيْنِ يَرُونِي
تَشُمُّ فِي قَهْوَةِ الْمُقَهَّى شَذَى خَبْرِي
فِي أَغْصَنِ الْقَاتِ يَحْلُو ذَوْقُ تَغْصِينِي

فِي كُلِّ جَمْعٍ أَطَالُوا قِصَّتِي وَإِلَى
أَلْحَانِ قَلْبِي أَضَافُوا غَيْرَ تَلْحِينِي
وَسَمَّنُوا قِصَّتِي، هَذَا يُضِيفُ لَذَا
فَعَدَّدُوا وَاحِدِي مِنْ بَعْدِ تَسْمِينِي

وَقَدَّرْتُ نُسُوءَ الْحَارَاتِ مُرْتَحِلِي:
يَغْدُو بِصَنْعَاءَ، يُمِيسِي آخِرَ «الصَّيْنِ»

مِنْ «الْحَدِيدَةِ» يَمْضِي لَحْظَتَيْنِ إِلَى
«رُومًا»، وَفِيهَا يَرَى دُورَ «الْبَرْدُونِ»

وَقُلْتُ نَادَى شُبَاطًا مَرَّتَيْنِ أَتَى
طَوْعًا، وَأَرْكَبَهُ أَكْتَفَ كَانُونِ

قَالَتْ «سُمَيَّةُ»: مَا أَغْبَىٰ مَنَازِلَنَا
رَدَّتْ غَرِيبًا يُحْيِي بِالرِّيَّاحِينَ
فَهَلْ دَرَّتْ مَنْ أَضَاعَتْ أَمْسَ حَارَتُنَا؟
حَفِيدَ «فَاطِمَةَ الزَّهْرَا» وَ«مَيْسُونَ»
وَحَالَ «هِنْدٍ» وَرَاعِي خَيْلِ آمِنَةٍ
وَكَانَ مِفْتَاحُ مُوسَىٰ عِنْدَ هَارُونَ
وَقِيلَ أَوْلَاهُ نُوحٌ فَلُكَّهُ فَرَقَىٰ
عَنْ عَارِضِ الْأَرْضِ أَنْجَىٰ نِصْفَ مَلِئُونَ

أَيْنَ اخْتَفَى بَعْدَ نُوحٍ؟ قَالَتِ امْرَأَةُ:
أَعَرُّهُ بَعْدَ نُوحٍ بَعْضَ مَاعُونِي

فِي كِسْرَوَانَ اخْتَفَى عَنْ كُلِّ طَائِفَةٍ
وَمَا ارْتَدَى «جَعْفَرًا» أَوْ وَجَهَ «مَارُونِي»

وَذَاتَ يَوْمٍ دَعَانِي وَانْطَوَى بِيَدِي
وَرِيْقَةً وَيَرَاعًا نِصْفَ مَسْنُونٍ

وَقَالَ: قُولِي لِمَنْ مَرُّوا وَمَنْ قَطَنُوا:

لَكُمْ وَلِلطَّيْرِ أَعْنَابِي وَزَيْتُونِي

وَفَرَّ عَنِّي، كَمَا وَافَى مُفَاجَأَةً

لَكِنْ إِلَى أَيْنَ؟ أَغْيَا الرِّيحَ تَخْمِينِي

وَمَرَّ سِفْرٌ أَجَابُوا طَالِبِينَ أَبَا

جَوَابَةً بَيْنَ شَطْئِهِ كـ «جِيحُونَ»

كَالْخِضْرِ حِينًا، وَأَحْيَانًا يُرَى شَجَرًا

وَتَارَةً فَوْقَ طَيْرٍ غَيْرِ مَيْمُونٍ

سُفْرَجَلِي الْخُطَى بُنْيَانُ قَامَتِهِ

مِنْ أَضْلَعِ الرِّيحِ.. مِنْ أَلَوَاحِ «بَيْنُونٍ»

يَدْعُوهُ مَسْرَى الثَّوَانِي كُلَّ أُمْسِيَةٍ:
«إِسْكَندَرَ الْفَتْحِ»، لَكِنْ غَيْرَ مُقْدُونِي.

◀═══════════ رحلة ابن شاب قرناها ═══════════▶

مَنْ دعتني؟ تخشين ماذا؟ سآتي

لحظةً، ريثما أَلُمُّ شتاتي

وأوازي بيني وبينني وسيري

بين جدوى توجُّهي والتفاتي

وأعيد الذي تركتُ ورائي

مِنْ ضلوعي، وَمِنْ صِبا أغنياتي

لستَ أنتَ الذي أُجبتَ هتافي

ليس عندي إِلَّا أسي زاوياتي

ربما كان نصفُ صوتي جريحاً
نصفه كان غارقاً في سُباتي
علَّها ساعة الجدار تَشَّتْ
فدَعْتُكَ: اصعدي على تَكْتَكاتي

ويح قلبي نأيتُ عنها وعني
كنتُ أسري في الـ«حا» إلى نَحْنَحاتي

الثواني عن الطريق إليها
عَرَّجت بي، أفتى الهدى غير فاتني
هل تجاوزتُ كلَّ حيٍّ، أأبكي
أم أغني كي يهتدي ميقاتي؟

يا (متى) يا إلى ويا كم سأصغي
للذي لا يُقال أو لا يُماتي (١)

وأشأكي قصيدةً بعد مَطلٍ
أسرعتُ كي تُميتَ عني مماتي
أصبح الموتُ يا قصيدةً أحنى
مأمنٍ، ليتني أطلتُ أنا تي
لستُ موتيةً، ولا الموتُ مني
الصِّبا حرفتي، وقلبي أداتي

(١) يماتي: يردّد السؤال عن الزمن: متى، وإلى متى.. وهذا قياس على (يُغدِغُ) أي يعدُّ كل يوم إلى الغد.. وهذا ما يسمّى عند القدماء التسوييف.

أُمهَلِني عَشيَّةً أو ضُحاها
كي أُسَاقِي الذين كانوا سُقَاتِي
وَأُسَارِي الذين كانوا بِلاداً
لبلادي، وأهل أَهلي حُماتي
كُنْتُ أَبْكِي مَني، تَهزِّين أَشْجِي
هَزَّ (أُمَّ السُّلَيْك) قَلبَ الفِلاتِ (٢)

(٢) هَزَّ أُمَّ السُّلَيْك: اشتهرت مرثاة أُمَّ السُّلَيْك ابنها (السُّلَيْك) العَدَاء،

وتساءلت عن أسباب موته:

راح يَبْغِي نَجْوَةً من هَلَاكِ فِهْلُكَ

ليت شعري ظِلُّهُ أَي شَيْءٍ قَتَلَكَ

وكانت القصيدة مَبْطُونة بالشَّجَى المَرِير، وعلى أَقْصَر البُحُور، مَجْزُوء الخَفِيف..

أخت (صخر) ^(٣) هل أنت أحنى عليهم
من حشا (كربلا) على (الفاطمات)؟

قلت أين الذين.. يا أرض: غابوا
في عظامي، كي يُشرقوا من فتاتي؟

نمّ عنهم حرف، كحسوَ الخزامى
جمرات البروق خضر المآتي

(٣) (أخت صخر): تمثيل بالخنساء التي اشتهرت برثاء أخويها صخر ومعاوية،

وكان ما قالته عن صخر أجود وأشجى:

وقائلة والنعش يسبق خطوها ... لتدركه، وا لهف نفسي على صخر.

ما أَسْمِيَه ذلِكَ الحرف؟ قل لي:
يا دم الليل، يا حليب الغدَاة؟
مَلَسَ الشَّيْن، هل تظنين هذا
سين سوف، أو أعين العاديَات؟
هل تَسْمِيَه أَنْتَ، سَلْ من يُسَمِّي
أحرف الهمس عنه، شَتَّى الصِّفَاتِ

كان في أوَّلِ التلاقي كوعدٍ
في ضميرِ الغمائمِ الصادقاتِ
كقوافٍ تختارُ أرقى المرامي
كي تقولَ النجومُ من بيناتي

فابتدى يستشيرُ مِنْ أين أغنى
قبل أمسيَّتين بعْتُ شُرَاتِي؟

کردس الأمسيات: هذي خيولي
-يا متاهات- والهبا مملكاتي^(٤)

أَتَوِيْ أَنْزَحَ المَحيطات أرمي
أشْمَخَ الراسياتِ بالراسياتِ

عَجَلًا كالرياح أَعْدُوْ وأهوي
باحثًا في تَكْسُرِي عن نواتي

عن جِبِينِي الذي هوى مِنْ قَدَالِي
سائلاً عن يَدَيَّ، عن (صافناتي)

(٤) كردس: استعارة للأمسيات من الخيل التي يكردها المحارب، أي يقسمها إلى كراديس، كل كردوس من أربعة خيول إلى ستة.

هل سأدري لو بعد سبعين أصحو
نوع ما هيَّتي: هيولى (مهاتي)

وتولَّى فصلٌ، وفصلٌ تبدَّى
كادِّكارِ العشائرِ البايداتِ
راح يُبدي تغبُّاً وهو قربي
عاصراً هجستي، عظام دواتي
قائلاً عنه منه: قالوا يُخبي
أعيناً كالطوالعِ الثاقباتِ

قال (يعلى): أفضى (سعيد) إليه

حملُ جدِّ الصَّخُورِ شَطَّى قناتي

أشتي ثروةً، كذاك وهذا

مثل نصفِ الرجالِ، كالغانياتِ

هل يُرجى، وقبل إيراقي غصنٍ

فيه قال الطَّلاقُ: يا مثمراي؟

أينع (الخنظل) الذي لستُ منه

بل أنا منك، أحسنت سيئاتي

مَنْ هُنَا يَبْتَغِي عَنِ الطَّيْنِ طِيباً
غَيْرِ سُوقِ الْجَنَائِزِ الْمَغْوِيَاتِ؟
قِيلَ يَشْتَقُّ كُلَّ شَكْلِ شُكُولاً
يَلْبِسُ النِّعْشَ أَنْضَرَ الْكَاعِبَاتِ
وَيَبِيعُ الْقُبُورَ فِي شَكْلِ مَلْهَى
فِي حُلَى صَفْقَةٍ كَسَحَرِ (الْبِدَاتِ) (٥)
مَقْلَتَاهُ نِيلَتَانِ وَيَبْدُو
لِلضُّحَى جَيِّدُهُ عَمُوداً (فُرَاتِي)

(٥) الْبِدَاتِ: مِنَ الْخَرَافَاتِ الشَّعْبِيَّةِ أَنْ فِي مَنْطَقَتَيْنِ مِنَ الْيَمَنِ نَوْعاً مِنَ النِّسَاءِ الثَّرِيَّاتِ الْحَسَانِ اشْتَهَرْنَ بِسِحْرِ الرِّجَالِ، وَتُحَوَّلُ الرِّجُلُ إِلَى ثَوْرٍ أَوْ حِمَارٍ، ثُمَّ تَتَحَوَّلُ هِيَ بِالصُّورَةِ الَّتِي حَوَّلَتْ الرِّجُلَ لِكَيْ يَتَسَنَّى لَهُنَّ مِمَارَسَةُ الْجِنْسِ جَهَاراً نَهَاراً، وَلَمْ يَصْلُنْ إِلَى إِتْقَانِ هَذَا السِّحْرِ إِلَّا بَتَعَلُّمٍ مِنَ (الْمُبْدِيذِ) الَّذِي يَعِيدُ الْمَسْحُورَ وَالْمَسْحُورَةَ إِلَى الصُّورَةِ الْبَشَرِيَّةِ.

واتفقنا ندعو (سعيداً) فإمّا
ننشي، أو نكرُّ كالعاصفاتِ
كنتَ منّا لكي تعودَ علينا
غير هذي، أو هذه موبقاتي
ليس لي غيركم، إلى من سأعزو
صفقاتِ المدافع (الصامتاتِ)
حين أروي ذبحَ العفاريتِ عنكم
بالموآسي- تُمسي البيوتُ رُواتي
قلتُ بالأمس أطلُّوا الشمسَ ليلاً
قيل: جئتم كالأبحرِ الحافياتِ

فدعوني أعِشْ، وكي لا تموتوا
تُمْطِرُ الشُّهْبَ بِاسْمِكُمْ وَسُوسَاتِي
فتراكم عيونُ (ياجوج) أغزى
لمقاصيرهم مِنَ الصَّاعِقَاتِ
فاختفى أشهراً ودلَّ علينا
قَادَةُ اللَّادِغَاتِ وَالنَّاهِشَاتِ
فلبسنا بيوتنا، قال بيتي:
نمتطي الآن أحدثَ الحَادِثَاتِ
يُرْهَبُ الخَوْفَ مَنْ يَلَاقِيهِ أَقْوَى
والرَّعَادِيدِ حَفْلَةَ النَّابِحَاتِ

ودنت جارةٌ وقالت: خذوني
لستُ أخشى غيبةَ العاقباتِ
أين تبغين يا (رُبي)؟ أيّ منأى
لا تراني ولا أراها حمّاتي
وثنانا الأمانُ قال سيلوي
قامةَ البيتِ مخنقُ الزّوبعاتِ
وقُبيل الغروبِ زارَ (سعيدُ)
بيتنا، فاحتفى بعهد الصّلاتِ
فبَسَطنا له المودّةَ فرشاً
وغمرناه بالُمْنى الوارفاتِ

قال: ماذا استجدَّ قبل ثوانٍ؟

حركاتٌ رعديةٌ القَعَقَاتِ

ولوى جيدهُ فشامَ كتاباً

مطمئناً، عنوانه (فلسفاتي)

قال: أضحي ذلك الفتي فيلسوفاً

كان تربي يُصغي إلى دندناتي

ويراني بعد انفصالي بعيداً

عن مدى العينِ في مدى الذكرياتِ

قلتُ يا (زين) ما أقتَ فروقاً

بين أعدى العدى وأهلِ المِقاتِ (٦)

المقات: جمع مِقَّة، وهي المحبة والثقة بالمحبيب.

لا تُعادي، فَلَسِفْ ضَمِيرَ الْمُعادي

لا بقلبي، ولا بجبري، عِدَاتِي

قَلْتُ أَعْدَى عِدَاةِ أَهْلِ الْمُعالي

مِنْ شُرَاةِ الْمَدَائِحِ النَّافِحاتِ

قال ذاك الزعيم عنك: لماذا

لا يُحَنِّي القصيدَ مِنْ مَكْرُمَاتِي؟

قال أغبي إن رَدَّ أَطْمَاعِ نَفْسِي

مِنْ سَنَاهُ، لَمْ لَا يَرُدَّ هِبَاتِي

قَلْتُ: رُدُّ الْهِبَاتِ لَوْمٌ.. وَأَخْزَى

مِنْهُ جَدْوَى الْأَنَامِلِ الذَّابِحَاتِ

مَنْ رَأَى قَبْلْتُ كَفًّا خَضِيئاً

مِنْ دَمِ الشَّعْبِ، أَكْرَمَ الْأُضْحِيَّاتِ

غاب عنا في كهف ماضيه حيناً
وطفا من ضلوعه الحاقاتِ

كان (عبدالرحيم) يُملي كتاباً
جيداً من أحاسنِ الترجماتِ
كان يحسو الحروفَ كأساً فكأساً
هازجاً كالحمامِ السَّاجعاتِ
قال: يدمي نبوغ هذا سقوطني
من تَغْنِيهِ تَغْتَلِي رَأْيَاتِي
وإلى السقفِ والممراتِ ألقى
تمتماتٍ مسمومةً الذبذباتِ

سائلاً كلّ طوبى: كيف أخلو

بالثرى والسَّما وأجتاز ذاتي

وأصافي في وحدتي أصدقاء

أنبياء القلوب، زهر السَّما

وانتحي يستعير صوت سواه

مُستسراً عني وعن قارئاتي

ودعا صاحبي تعال ستنجو

قال أخشى ما بتُّ أخشى نجاتي

إنصرف راشداً، وفي الباب أفضى:

الدكاكين والكوى من جفاتي

وأُتِيَ بعدَ ليلتين ويومٍ
دارَ بالدارِ من جميعِ الجهاتِ
قالَ (هَرُّ): مَنَّا إِلَيْنَا تُؤَافِي
حوماني بالصَّحْبِ مِن تَسْلِيَاتِي

ومشى يزدرية كلُّ طريقٍ
إذ يُحاكي تخلُّعَ الماجناتِ
يدخلُ (الباص) كي يشدَّ إليه
أعينَ الراكبين والراكباتِ
قيل هذا درعُ (الأمير) يُراي
بالمنى، بالمناصبِ العالياتِ
قلت: هذا اشتراهُ منه عليه
قال ثانٍ: أضنى يديه انفلاقي
قال شيخٌ: كلبٌ رقى كي يؤدِّي
جيداً خدمةَ الكلابِ العواتي
قال إذ جئتهُ: أُسجِّلَتْ وعداً
لستَ في دفترِ السُّراةِ الغُراةِ

دفتر الزائرين؟ ما أنت فيه
قلتُ: ضعني في دفتر الزائراتِ

وتلهي عني قليلاً وماجتُ
حولهُ زحمةُ الألى واللواتي

قال شيءٌ إلى (الأمير)، إليه
وقيصي مرعبلٌ جلد شاةٍ

من هنا أو هناك عنك توارى
بالهدايا، وتحت سقفِ الزكاةِ

فتبدى ذاك (الأمير) رفيقاً
منذ عشرين في ضحى الأمنيات
كيف يختار حاجباً مثل هذا
ربما زوّقه كالبايعات
كدت أنسى أن الحجابة إرث
عن مرام الوريث، لا الوارثات
خلّطني في حمى (الأمير) بأني
صرت إياه وهو أزكى ثقاتي
كنديم (القريض) والراح ينسي
أول القهر، آخر الموجعات
منذ لاقيته دخلت سماء
في الثرى، تلك أعجب العاجبات

قال: ماذا حملت؟ قلت: كتاباً

وتأبّطُ صرّةً لاقتياني

ثم ماذا؟ أسكنتُ (ميمون) نصفي

قل ونصفي لمن؟ لتلك الحصاةِ

قال ماذا تجيدُ؟ طبخَ الأهاجي

فوق نارِ الكواكبِ النيراتِ

أيُّ طبخٍ تُجيدُه غير هذا؟

أهتدي باثنتين (ليدا) و(كاتي)

وأطلّت (ليدا) فقال: أَرِيهِ

مدخلَ الأهلِ، مخرجَ الوافداتِ

وامنحِهِ ما تعلّمين وزِيدِي
لَقَبِيهِ بِقَائِدِ المَاهِرَاتِ

كُنْتُ أَدْعُو هَذِي، وَتِلْكَ وَأُخْرَى
(بَيْتِ سَيْدِي) يَضْحَكُنْ مِنْ لَهْوَ جَاتِي
وَأَشَارَتْ مَنْ لَسْتُ أَدْرِي وَقَالَتْ:
(بَيْتِ سَيْدِي) أَنَا، بَلَا خَادِمَاتٍ
وَتَوَارَتْ، وَعَدْتُ وَحْدِي حَصِيْرًا
بَيْنَ عَفْوَئِي وَوَقْعِ انْبِغَاتِي
تِلْكَ أَدْنَى مَكَائِدِ الْقَصْرِ، دَعَهَا
وَتَوَسَّمْ بِرَاقِعِ الْكَامِنَاتِ

سِرِّ إِلَى الْحَاجِبِ الَّذِي تَقْتَضِيهِ
مَوْعِدًا، قُلْ لَهُ أَلَحَّتْ شُكَايَتِي

ثُمَّ مَاذَا؟ وَقُلْ لِنَفْسِكَ عَشْرًا:
إِحْذَرِي أَنْ تُرِيَهُ أَدْنَى هِنَاتِي

خَلَّتُهُ شَمَّ وَجْهَتِي مِنْ كِتَابِي
أَوْ بَدَتْ (شَرْجِيئَتِي) مِنْ لُغَاتِي

بعد يومين خمسةٌ عدُّ إلينا
واصطحب تسعةً لشيخ القضاة
قلتُ خذها حقيقتي قال: تبدو
غير حُبلى، كانت من المرضعاتِ
بعد شهرين سوف تنصبُّ طيراً
من أبابيل، فوق أطغى الطُّغاةِ
ظلَّ يطوي تعامياً عن مكاني
من ضمير (الأمير) و(الآمراتِ)

أهلُ وِدِّي أدَمُوا جوادَ أميري
سجَّلوني له كُبيرَ الجُنَّةِ

فدعاني: ماذا ترى؟ ناب أفعى
أنتَ أقوى قلباً على الفاجئاتِ

قيل: شاهدتَ (عامراً) حين ألقى
مُدِيَّةً خَضَبَتْ بِنانَ الفتاةِ
فَسَعَتْ أُمُّها وَذَرَّتْ تُرَاباً
حالَ بينَ النُّظُورِ والنَّاظِرَاتِ

لست أدري مَنْ (عامراً) ليس عندي
فِطْنَةٌ بِالضَّمَائِرِ الْخَارِبَاتِ
أَتُمَارِي؟ أَلَسْتَ أَفْقَهَ مِنِّي
باسمِ كَنَاءٍ، بِأَوْسَطِ المَنْزِلَاتِ؟

ورأى قوله هشيماً أمامي
فتجلى براءتي من ثباتي
هل أنجيه، أو أبقيّه يؤذي
من تولّوا أمري، وكانوا ولّاتي؟
ما الذي يرتئي؟ رمى بي طريقاً
بين مجلى عرسي ومنعى وفاتي

وإلى أين، قلِّ ومن أين أغدو
صفّقي يا حصي على بسملاتي؟!

وعلى غير رِقْبَةٍ هَفَّ حولي
صوتُ قلبٍ كأولِ المعجزاتِ

غابَ ذا في الذي، وذاك بهذا
كتماهي (الكان) في الزغرداتِ

قبل نصف الطريق، عدتَ ابتداءً
قيل: لَمَّا ولدتُ ماتت حياتي

ولذا أبَتْنِي أتمَّ وأملَى
كي يروا أنني كمي الكُماةِ

قال: أمّا أنا فأهلي وصحبي
بهتوني بالأمس أقوى انبهات
أمسكوا شاربي وقالوا: ثلاثٌ
هُنَّ من لحيتي ومن واجباتي
كُنَّ زوجاتِ تاجرٍن ورامٍ
لقبوه بأقنص الشارداتِ
فاجأتهنَّ في (الغُرَيْدا) عَجُوزُ
زعموها إمامةَ السَّاحراتِ
حوَلْتُ ذِي وَتِي (غزالاً) و(كبشاً)،
تلك (ديكاً) من أفصح الصَّائِياتِ

حين تدنو منهم ينشقن ريحاً
ونداء: أخي، أخي، أخواتي
صحتُ فانهالت العجوزُ رماداً
ودعيتني: زُرْ يا فتى آلهاتي
أركبتني أخرى (قطاةً) وشدتْ
أخواتي على بنات قطاتي
ورجعنا والصبح يحدو خطانا
وتغني مواكب البشرياتِ
ولهذا هربتُ قبل اتخذني
معبد العاشقين والعاشقاتِ

مَنْ أُنَادِيكَ؟ مَا دَعَانِي صَدِيقُ
مَنْذَ بَاعَتْ أَبَوَّتِي أُمَّهُاتِي

يَا صَدِيقِي: قُلْ لِي مَنْ ابْتَاعَ أُمِّي؟
مَنْ سَيَسْبِي غَدًا صَبَايَا بَنَاتِي

أَتَرَاهُ مَا زَالَ حَيًّا، كَهَذَا
يَخْتَفِي أَشْهَرًا، شَهْرًا يَوَاتِي؟

مَنْ دَعَتْنِي؟ تِلْكَ الَّتِي لَمْ تُجِبْهَا
قَلْتَ صُغْرَى، وَقَلْتُ إِحْدَى لِذَاتِي

كَمْ تَرَقَّبْتَنِي؟ ثَلَاثِينَ لَيْلًا
مَا تَصَوَّرْتَ لَيْلَةَ شَيْطَنَاتِي

كُنْتُ أَمْشِي مِنْ (فَجَّ عَطَّان) حِينًا
وَأَوَانًا أَخْتَارُ تَكْسَ (الْحَوَاتِي)

مَنْ دَعَتْنِي مُضِيفَةً مَا جَرَى لِي
هَرَبْتُ (حِيَّةً) بِسَاتِينَ قَاتِي

وَمَغَارِيسَ (نَرْجَسِي) وَ(كُرُومِي)
يَا لَصُوصِ الْمَلَا خَذُوا كَارِثَاتِي

وَانْهَبُوا مِنْ مَرَارَتِي أَلْفَ رَطْلٍ
حَمَلَ (بَاصِينَ) مِنْ أَفَاعِي دُهَاتِي

هل ستأتي غداً؟ بل الآن فوراً
أمتطي لهفتي، خذيني وهاتي
للحمى نلتقي وفيه شؤانا
قوله: جئتما أوان فواتي
سوف نشدو له وعنه فيرق
فوق أصدائنا كطهر الصلاة
وعلى منكبي كلانا بلاد
كالعصافير في الليالي الشواتي
سوف تستفسر الأوقيت عنا
من هما يا شروق يا أمسياتي!!
بجميع اللغات قولي وقولي:
بعض أهلي هما، وأزكى نباتي

من رمى بي لوحين من عظم أهلي؟

كنتُ يتيِّهما فصارا مَبَاتِي

يا سوافي: ماذا تُسمِّين هذا؟

موكبي أو صفيحةً من رفاقي؟

إن يكن هان في السعيدة بيتي

فالمجراتُ يا دجى أباي

١٩٩٦ م.



يا ابن «المُتَوَكِّل» يا «حَجْرِي»
هل غَيْرُكَ أَحَدٌ يَدْرِي؟
مَنْ أَرَخَى حَوْلَ مَكَانِكُمْ
أَسْتَاراً كَالسُّورِ الصَّخْرِي؟
وَضَبَاباً يَمْرِي أَعْيَنُهُ
مَنْ يَسْتَبْكِي، ماذا يَمْرِي؟
هل شَمَّتْ نَافِذَةٌ شَبَحاً
يُقْرِي خَبْرًا، أَوْ يَسْتَقْرِي؟
ما افْتَرَّتْ ثَانِيَةً حَتَّى
قالتُ أُخْرَى: لا تَفْتَرِّي

هل جاركما الأعلى داراً
من أهل المفتاح السحري؟
فاستغشى الغرفة قبلكما
وتلاشى كالزبد الحمري!!

يا أخوي محبرة من ذا
ناداها: انخطمي واغبري؟
فحي يا لحظة وانفجري
صخباً محمراً واصفري

يا «عبد الرحمن» اتَّهَمُوا
 دَعَاكَ، وما قَبِلُوا عُدْرِي
 قَالُوا: أَغْضَيْنَا عَنْ «يَحْيَى»
 مَا بَلَّغْنَاهُمْ عَنْ «شُكْرِي»
 هل ذا أو ذاك لَهُ خَطَرٌ؟
 اسْتَجَلَى مَكْرَهُمَا «صَبْرِي»
 أَيْنَعْنَا، قَالَتْ سَفَرْتَنَا:
 أَرِنِي يَا بَرْقُ سَنَا جَمْرِي
 عَجَلْ يَا «خَالِدُ» مَقْتَلَنَا
 - بَلْ صَوَّبَ أَنْتَ عَلَى صَدْرِي
 وَعَلَى جُمُجُمَتِي رَابِعَةً
 أَمْحُو عَاراً يُدْعَى «نَصْرِي»
 الْيَوْمَ الْقَتْلُ مُدَاعَبَةٌ
 وَحُرُوبُ الْأَهْلِ جَوَى شِعْرِي

قُولَا: مَنْ ذَا قَالَ اقْتَتَلَا؟

وعلى هذا، أُنْبِي أُمْرِي

مَنْ كَانَ الثَّالِثُ بَيْنَكُمَا؟

مَا أَغْمَضَهُ الْقَتْلُ السَّرِّي!

وَيُقَالُ: دَوَّافِعُهُ الْأَعْصَى

بُولُوجٍ دَخَائِلُهُ تُغْرِي

قَالُوا: يَعْتَوُكَ «أَبِي لَهَبٍ»

وَيُصَلِّيُكَ «الْحَسَنَ الْبَصْرِيَّ»

حرباوي المرائي يبدو
صعلوكاً، وهاباً مثري
تحدو «هند» فيه «أحدًا»
يتلو «الرحمن» فتى «بدري»
بين الموتى ويدور ولا...
يدري، من ذا فيه يسري!!

أتعبت قليلاً؟ أنساني
قصف الأعمار أسي عمري
أتكف غداً؟ من يدريني
ماذا سأبيع وما أشري؟
ينقض كصاعقة، وعلى
فيه وأنامله يجري

أَرَدَيْتُ الْيَوْمَ ثَمَانِيَّةً

غَرَّيَ يَا رِيحُ بِهِمْ فَرِّي

أَقُولُ: أَنَا أَفْدي وَطْني

وَنُعُوشُ بَنِيهِ عَلَى ظَهْرِي؟

وَبِرْغَمِي أَطْهُو كُلَّ ضُحَى

تَقْرِيراً لِلْمِسْتَرِ «هَنْرِي»

الْقَتْلُ الْغَدِيَّ مُخْتَلَفٌ

عَنْهُ، لَيْلِيًّا أَوْ فَجْرِي

لَا يُدْعَى ذَاكَ وَلَا هَذَا

بَلْ يُدْعَى أَزْرَى مِنْ مُزِرٍ

يَعْدُو أَشْكَالاً أَلْوَاناً

جَوِيّاً بَرِيّاً بَحْرِي

كَلْسَانٍ مِنْ رَأْسِ الْأَفْعَى

نَصْلاً يَأْقُوتِيّاً تَبْرِي

يُسْطُو وَالْحَارَةَ سَاهِيَةً

يُرْدِي سَرِيّاً أَوْ جَهْرِي

يَرْمِي خَلْفاً يَرْمِي قُدْماً

وَيَمِيناً وَيَسَاراً يُغْرِي

وَيُنَادِي صَوْلَتَهُ: اشْتَغَلِي

فَرِّي يَا «صَنْعاً» أَوْ كَرِّي

هل قَتَلَ اليومَ ابنُ الماضي؟
لا أدري أيُّهما عَصِرِي
قتلى تمضي، وتلي قتلى...
أأنا أشباحي دَهْرِي؟

مَنْ حَمَلَنِي جُشَاءُ تَوْمِي:
هذا أو ذاك، وذا قَبْرِي
مَنْ ذا يُدْنِينِي مِنْ أَجَلٍ
ثَانٍ يَقْبُرُنِي فِي نَحْرِي؟

أَلَا نِيَّ مَا جُورُ أَضْحَى
قتلي بدم القتلِ أَجْرِي؟
أَلَا مَارِي مَا أَحْذِقُهُ؟
وعلى كتفي وحدي وزْرِي

الغامضة الوضّاحه

من مرّت؟ بنت الطّلاّحه

الأجلى والأجنى راحه

الأفضى وجهاً، والأنقى

من قبلِ الفجرِ النّضّاحه

لنثيثِ سَراها أجنحة

تطوي ما أفشت بواحه

ماذا ترعين؟ عظامَ دجى

وخلايا أطلالٍ قزّاحه

كي تستصفي وطناً نرمي

عن ذا (جَبّته) القياّحه

مِنْ أَخْفَى يَنْبُوعٍ صَعْدَتْ
تَدْعُو (الأدياك) الصَّيَّاحَ

وَلَدَتْهَا مَحْبَرَةٌ بَكْرٌ..
فَصَبْتُ كَاتِبَةً صَفَّاحَ

وَاخْتَصَرْتُ كُتُباً مَا انْكَتَبْتُ
تَرْوِيهَا عَنْ فَمِهَا السَّاحَ

وَطَّئْتُ عَلَى الْخَوْفِ الْوَالِي
نَفْسِي، فَتَوَقَّى الطَّمَّاحَ

وَصَعْدْتُ عَلَى دَمِهِ وَدَمِي
فَتَهَاوَى كِسْرًا قَحَّاحَ

لَوْلَا تَوَطُّيْهِ النَّفْسِ غَدْتُ
مِنَّا وَعَلَيْنَا جَنَّاحَ

عَلَّمْنَا الْجُرْأَةَ يَا وَطَنِي
سَبَقَ الْهَجَمَاتِ الْمُجْتَاحَةُ

يا تلُّ: هل البشرى مسّت؟

فتعمُّ السهرى صَبَّاحَهْ

أَلْبَيْتِكُمُ بابان؟ وَمَنْ

حَمَلَهْ سَقْفاً وَمَسَاحَهْ؟

هل هذي البيضةُ يَيْتِكُمُ؟

عنها كَسَرْنَا الفَتَّاحَهْ

أَوْ ما جاورتم أربعةً؟

روماً أزواج الطناحه!

وأراد القصر يزحزحنا

مِنَّا، أركبناه رياحَهْ

وهمست: هناك، هنا، ماذا

هل ذات الأزواج مُباحَهْ؟

من سمى أحفاد (النبى)
-إذ رجعوا- مثلي سواحهُ؟

هل كنت هناك غداة طوت
في كل حصاة إلماحهُ؟

وجهي ويذاها والوادي
تحت الآلات الكسّاحهُ

أسمعت صليلَ حصى؟ غطّت
سمعي طاحنةٌ نخاحهُ

أَفَضْتُ نَسَمَاتُ الْفَجْرِ؟ أَرَى
بَرْقَيْنِ وَأَرْضاً لَقَّاحَهُ

الآن تَوْشِي مَرْجِعَهَا
وَعَلَيْهَا تُرْخِي الطَّرَّاحَهُ

تَقْتَادُ الْبَرْقَ إِلَى فَمِهِ
يُذَكِّي جَمْرَتَهُ الْفَصَّاحَهُ

تَسْتَخْفِي ثَانِيَةً، تَدْعُو:
قُومِي يَا الْأَرْضُ النَّفَّاحَهُ

يَتَلَاقِي الْأَعْلَى وَالْأَدْنَى
بَيْنَانِ الْأُمِّ الْمَسَّاحَهُ

فَتَمُوجُ الْأَرْضُ سَنِيَّ وَنَدَى
كَسَمَاءٍ أُخْرَى سَبَّاحَهُ

الأيكةُ تغشى جارتها
حُبًّا، والأسرارُ إباحه
يمتدُّ الوادي أوديةً
ورفيفُ رياضٍ صدَّاحه
وحقولُ أسخى تستعلي
وتصبُّ كروماً لواحِه
وفجأُ القمح تميد صباً
وتُحنِّي الأيدي القمَّاحه
وسهولُ وربى ناهدة
ورياضُ تدعى المناحه

أحنى بالراعي والمرعى
بالأرض الجرحى الجراحه
المرضعة الحبل الأشتى
بنيوب الطين الذبّاحه

بدم القتل تطوي قتلى
وتميل الطرق القبّاحه

تبكي من ماتوا، من ولدوا
ليموتوا، فالعمر مناحه

يقع المولود بلا سبب
فيرى لقيا الموت متاحه

والتجربتان كواحدة

هل من ثلاثة نجّاحه؟

ودعت (سبلى) لم لا تندى
يا وجه الأرض الملتاحه؟

أترى الأغنام تموت طوى؟
في نصف السبع الشحاحه

من موتها أدمى دمعي
وأسال عظامي القراحه

أرمت بي أرضاً ثانية؟
وربها بدمي سراحه

من أين إليها أرمي بي
وأشم شذى تلك الواحه؟

مَنْ قَالَتْ أَنْجُنَا اصْفَرَّتْ
وَاجْمَرَ حَصَانَا يَا صَاحَهُ؟

وَعَصَافِيرُ الْبَرِّ احْتَرَقَتْ
فَوْقَ الْأَشْجَارِ الصَّوَّاحِ

قَالُوا: (صِنْعَا) الْأُولَى وَلَّتْ
وَالْأُخْرَى عَنْهَا نَزَّاحَهُ

تَأْتِي (أَمْرِيكَ) مِنْ (رُومَا)
تَرْمِي مِنْ (سِينَا) الْقُرْدَا حَهُ

مِنْ (صِنْعَا) تَحْسُو (أُسْمَرَةً)
وَمِنْ (الدَّهْنَا) (طَوْرُ الْبَا حَهُ)

وَأَبِي أَعْنَى بَقْبُول (عَطَا)
لِي زَوْجَاءَ يَدُهُ سَنَّا حَهُ

ألهذا حالٌ، هل أثرى
والأمةُ موتى كداحه؟

سألت شوحةً رابيةً:
أرأيت الأحنى المسماحه؟

أولت (ريحان) رواتعها
واحترقت أشباح الضاحه

وإلى أين انتوت المسرى؟
فوق الحياتِ الفحاحه

حرقت عيوني المَحها
خيَّلتُ الهضبة منزاحه؟

قالت ريحٌ: أصعدتُ فتىً
أدرى بالحُفَرِ الكَاجِحِ

فاجتاز بها الأنياب إلى
ظهر القافلة الرزَّاحِ

أأقول إلى أين المسعى؟
مَن هذي؟ تُدعى المضراحي

من أقصى واديها يرخي
بلدي للغيماتِ وشاحه

قال الراوي.. ومضت سعيًا
والضحوة نعسي رَوَّاحه

فتشا کی الطلحُ وشکواه
من فقد الأنثی فضّاحه

کم غنّتنا وبکت منّا
وکسّتنا قبلاً وملاحه

وأحالت أشواکی هذی
سُنبله، هاتیک أقاحه

وهناک حقولٌ وارفةٌ
تنصبُّ کروماً لوّاحه

کانت أمّاً، زوجاً، أختاً،
مسعدةً، بنتاً ممراحه

قال الراوی: کست الصحرا
وحدّت خضرتها الفوّاحه

ألها عشقٌ؟ تبدو سهلاً
تدنو تلقاها رمّاحه

ما ظن الطاغى ذاك؟ يرى
فيها طاغيةً مزّاحه

ردّته عوداً معوجاً
وأجادت كذب المدّاحه

وافيتُ مُحباً، عُدَّتْ كما
شمَّ العصفورُ التفَّاحه
ورأيتَ الرفقَ بشاردةً
فعقلتَ قواك الجَمَّاحه
لو شئتَ تمدُّ يداً قالت:
من ذا شاهدني سَفَّاحه؟
قال الراوي: ماذا سأرى؟
بِحُجَّاحاً لاقى بِحُجَّاحه
هذي أمسيةٌ ساحرةٌ
تمضي شاديةً وشَّاحه
قل يا راوي في ما جاءت؟
كي تنسى أمسية (الجاحه)

قولي: خَلَفْتَنِي شَذْراً
من يدري ترجمة الآحاه؟

يا (ريحان) المسكين لنا
وعدُّ باللقيا الفَرَّاحَه

هل أنت دعوتَ مخالفتي
أعرافَ النسوان وقاحه؟

سترين دموعي منبتهً
شُهباً ونخيلاً بَلَّاحَه

من ذا يدعوني، أعرفه
خفت فرحى كالتراحه

هذا عمي القاضي وافي
هل أفنت يده أرماحه؟

وأراد يقوم فصرَّ به
نسر قضم الكرك جناحه

فخت جبهتها دامعة
فأبى وانحدرت منساحه

سترين هنا حياً أحفى
بدليلة أحلى إصباحه

أقدرني أصباني أذكي
خلفي قدامي أرواحه

مَنْ تِلْكَ الْجُلُوى يَا عَمِي؟
بنت ابني الثاني (رَجَّاحَه)

أخشى أَنْ يُغْرِيهَا زَوْجٌ
طَرَقُوا مَا لاقُوا فَتَّاحَه

فَأَدَارَتْ أَعْمَالِي أَدْرَى
مَنِي رَاغِبَةٌ نَصَّاحَه
أَتَلَاقِينَا يَوْمًا؟ يَبْدُو
بِزَفَافٍ (حَسِينِ المَدَوَّاحَه)

كَمْ مَرَّتْ؟ سَنَوَاتٌ عَشْرٌ
وَتَلَّتْهَا تَسْعُ كَلَّاحَه

كُنْتُ الغَصْنَ النَّامِي، وَأَنَا
مَحْنِيٌّ تَعْلُوكُ صَبَّاحَه

خذها يا أبتِ، من تُدعى؟
واحدتي تطوي تمساحه

حجبت بالبيسي ما ينسي
رمت العين بشلاحه

كم ساقَت بنتُ التسع فتى؟
أماً غامضةً وضاحه

قالت: أهلي لبوا (حيفا)
وقصدت (حظوراً وشلاحه)

حضنتني (الغزوة) والمحمى
وسُفوح (الجرعا) وركاحه

وإلى (التواهي) أركبني
صالحونا نجم (المقراحه)
ها نتعشى؟ .. أهنا أمي؟
قفزت كالفرس الضباحه
عندي مشوي مسلوق
وتدير القهوة (رنداحه)
وابتاعي قاتاً من هذا
أسمعت بقات (المذراحه)؟
أسرانا (القات)، وأين سرى؟
جننا من أول (فداحه)
طوفني (عدنا) و(المينا)
فنسيت (أثينا) الملاحه

وإليك تأبطني شوقٌ
شوقٌ أركبني ألواحهُ

سرقني أمي ذاهلةٌ
وأنا ذاهلةٌ رواحهُ

غنتُ سمار زفافكمو؟
فأضاع الحاسي أقداحهُ

وأباريق (الصها) تهفو
والليلُ (يُقنِـدُ) أشباحهُ

ما أحلى ذاك العرس، وما...

وبكى وبكت: آج يا حَهْ

سقط الغصنان: وحيد (فلا)

ووحيدة (جبر) و(جماحَهْ)

أطفئ مصباحَهْ من أطفئ

وتلى المصباحُ المصباحَهْ

كم بين الزَّفَّةِ والمنعَى؟

سَبْتَانِ: كعمر الإلماحَهْ

هل حربُ قبائلكم نامت؟

تخبو كي تطغى لفأحه

لا تستسميني، لست أنا

خلفتُ هناك الفلاحه

وخرقتُ حدود: أبي،

زوجي، ووصايا أمي اللّاحه

ورحلتُ إلى، من أين إلى؟!

باب الرحلات الطوّاحه

في مرمى العين إدارته

ورأتها فagre الباحه

وإليها أضحت لاقتها

من وصفتها بالبحّاحه

قالت: كم ردّت خُطاباً
يوميّاً جهراً وصراحه؟

وطني: أزواجي، مَنْ أهوى
طوبى لـ (فلاج) و(فلاحه)

مَنْ ذا تبغين؟ أرى هذا
هاكِ التذكرة الصّدّاحه

وَدَّعْتُ الْعَمَّ وَكَانَ يَرَى
صَبُوتَهُ الْأُخْرَى طَرَّاحَهُ

فَاسْتَدْنَانِي، وَأَشَارَ: خُذِي
مَحْفَظَةً صَغْرَى فَسَّاحَهُ

إِعْطِي هَذَا الدِّيَّارَ، وَذِي
لِسْكَرْتِيرَتِهِ الصَّلَاحَهُ

وطلعتُ الطائِرةُ المَلأى
قومي يا هذي الرتَّاحَه
وبكفي (كُرتُ) وردي
حيّا (عاهلة) الشوّاحَه
مَنْ ذا يدريني: أين أنا!
مَنْ حملَ الدارَ الطفّاحَه؟
حارَتْ، دارَتْ، فدنتُ منها
صاحبةُ جدلي شرّاحَه
هذي الأبواب: إلى، وإلى،
هذا لا يعطي مفتاحَه
هذا البرّادُ ومائدةُ
سوقٍ وفتاةُ ربّاحَه

واختارت (شقرا) مُطَّرِحِي
ما أحنى هذي الطَّرَاحَه!!

وغشَّتها سِنَّةٌ ضَافِيَةٌ
أَصَحَتْ؟ أو كانت صَحَّاحَه؟

ورأتها تغدو سائِرَةً
بين المستشفى و(صُبَّاحَه)

هل هذي (سبلي)؟ تلك سَمَتْ
ودعاها (زُحْلُ) (زُحْزَاحَه)

أَرَعَيْتَ وَايَّاهَا سِنَّةٌ؟
وتجاوبنا: وا مرواحَه

وعشيةً جازت حارتنا
نادت فأجابت: مراحه

جازت بالحُسنَى: أيكما
إختارت جرنَ (الطرماحه)؟

أسعى أدنى من منزلنا
دخلت مشرقاً فوّاحه

مرّت ليلتنا بستاناً
والدار تبدّت كـ (سباحه)

أما عمّي وأبي وأخي
باتوا في الضيفه سراحه

من نادى عمّي؟ جدّ أبي
سبقتم تُصبي أفرّاحه

واستروَت حَكْمَتَه فَرَوَى
أَخْبَارَ (هُذَيْلٍ) وَجُلَّاحَهْ

وَنَصَرْنَا يَوْمًا (ثَعْلَبَةً)
بَاكَرْنَا دُورَ الْبَطَّاحَهْ

قَتَلُوا مِن صَحْبِي أَرْبَعَةً
وَقَتَلْنَا (سُعْدَى) وَ(نَجَّاحَهْ)

هَلْ نَرَوِي هَذَا عَنْكَ؟ أَنَا
أَخْبَرْتُ رُعَاةَ الْبَرْدَاكِهْ

قَذَفُوا مَائَةً مِنْهُمْ فِينَا
وَاللَّيْلَةُ غَضَبِي رِيَّاحَهْ

وتساقينا دَمْنَا الجاري
مَنَّا، فينا، قَاحٍ قَاحُهُ
لا تدري (سُعدى) مَنْ نَدَبْتُ
لا وصفتُ أحداً نَوَّاحَهُ
وقصارانا أنا مُتَنَا..
وأَمَتْنَا مِنَّا (المُجْجَاحَهُ)
ولفتنا في الجمعِينِ فتىً
وحَدَّنَا الشَّطِّينَ مَنَاحَهُ
الموتُ أو المَحيَا أَهْنَا؟
أَنَّى كُنَّا نَأْتِ الرَّاحَهُ

بَيْتٌ مِنَ الرِّيحِ

ما الذي رَنَّ كَمِنْقَارٍ تَمَحَّكُ
بِالْكُؤَى؟ هل تَحْذَرُ الأبوابَ؟ وَيَحْكُ

مِنْ هُنَاكَ اصْعَدْ.. وَقِفْ، رَوِّضْ عَلَى
أَعْنَتِ الْأَحْجَارِ وَالْأَشْبَاحِ نَطْحَكُ

قُلْ لِعَيْنَيْكَ عِدَا شَوْقِ غَدِي
وَاحْتَسِسْ فِي مَنْبَتِ الْقَرْنَيْنِ نَوْحَكُ

هذه غُرْفَتُهُ، هل أَطْلَقْتُ
أَنَّهُ يَا « مُشْتَرِي » تَحْتَ صُبْحِكَ؟

الرَّبِّي تَسْقِي السَّمَاءَ مِنْ بَوَاحِ
مِثْلَمَا تَسْقِي دَوَالِيكَ وَقَمَحَكَ

قَبْلَ أَنْ أَغْشَى عَلَيْهِ خِلَتَهُ
كَانَ خَصَمِي، قَالَ لِي: قَرَّرْتُ صُلْحَكَ

وَنَأَى يَسْتَقِرُّ الْبَرْقُ هُنَا
وَهُنَا يَسْتَضْحِكُ الصَّمْتُ وَيَضْحَكُ

مَا اجْتَنَى تَرْيِمَةً إِلَّا شَدَا
هَآكَ عِيدَ «النَّحْرِ» يَا قَلْبِي وَ«فِصْحَكَ»

هَذَاؤُ الْبَهُوِ صَحَتْ سَائِلَةٌ
أَنْتَ- يَا ابْنَ اللَّيْلِ- مَنْ ذَا اقْتَادَ كَسْحَكَ؟

مَنْ أَغَارَ الْآنَ؟ قُلْ يَا سَقْفُ مَنْ
عَضَّ عُرْقُوبِيكَ، مَنْ ذَا شَقَّ سَطْحَكَ؟

دَعَكَ وَالْجُدْرَانَ، مَنْ ذَا تَتَّقِي
طَالَمَا كَسَّرْتَ مَنْ يَبْغُونَ فَتَحَكَ!

فَلَمَّاذَا جِئْتَنِي مُكْتَسِحًا؟
مُسْتَبِينًا مَا تُلَاقِيهِ.. فَصَفَحَكَ

قِيلَ مُتَّ الصُّبْحَ قَتْلًا؟! وَلِذَا
جِئْتُ سِرًّا عَنْكَ، مَا شَاهَدْتُ جُرْحَكَ

بِتُّ أَحْيَا مِنْ ضُحَى الصَّيْفِ، كَمَا
عَمَّرَتْ عَافِيَةُ الْغَزْلَانِ سَرْحَكَ

وَلِذَا أَقْلَقْتَ أَشْتَى لَيْلَةٍ
حَامِلًا صُرَّتَكَ الْآخَرَى وَمِلْحَكَ

لَسْتُ أَلْحَاكَ فَمَا اسْتَحَسَنْتُ مَا
خَلَّتَهُ حُسْنًا، وَلَا اسْتَقْبَحْتُ قُبْحَكَ

إِنْ تَكُنْ لَصًّا فَخُذْ مَا تَنْتَقِي
أَوْ أَجِيرًا قَاتِلًا فَاسْتَلِّ رُمْحَكَ

كُلُّ مَا يُرْدِي سِوَاكَ اجْتَزَتْهُ
كُلُّ مَا أَضْنَاكَ أَوْ يُضْنِي أَصَحَّكَ

حَكَّحَكَتْ فِيكَ اللَّيَالِي رِيَشَهَا
فَتَسَاقَطْنَ لَكَ يَرْقَى الْمُحَكَّحَكَ

أَقْنَصُ الطَّلَقَاتِ عَنْكَ احْتَرَفْتُ
الْمَنَايَا كَالْمُنَى يَعْشَقُنْ مُزْحَكُ

عَنْ لِي لَوْ تَحْمِلُ الْأَجْيَالَ يَا
أَنْتَ، أَضَحَتْ أَشْمَخُ الْقِمَّاتِ سَفْحَكُ

يَا مُرُورَ اللَّيْلِ كَبُرَتْ صَبِيحَتِي
اسْأَلِ التَّقِيلَ: مَنْ ذَا مَدَّ نَبْحَكَ؟

وَلِمَاذَا ازْدَدْتَ إِشْدَاقًا وَمَا
زِدْتَ أَرْضًا هَشَّةً تَمْتَصُّ طَفْحَكَ

أَيْنَمَا أَطْلَقْتَ أَحْرَقْتَ، مَتَى
طَالَ زَنْدَاكَ، مَتَى عَوَّلَمْتَ لَفْحَكَ؟

مَا الَّذِي أُرْوِي وَأَطْوِي فِي الْحَشَى
حِينَ أَفْشِي مَتْنَكَ اللَّيْلِي وَشَرَحَكَ؟

حِكْمَةُ الْإِنْصَاتِ لِي، وَانْضَحْ بِمَا
فِيكَ، مَا أَنْقَى طَوَايَاكَ وَفَضَحَكَ

وَلِمَاذَا لَا تَرَانِي زَائِرًا؟
قَالَ بَيَّاعُ الْهَدَايَا مَا أَشْحَكَ

قِيلَ: أَخْفَى الْجِنَّ عَنْكَ اسْتَكْشَفُوا
مَا سَيَجْرِي بَعْدُ، مُسْتَفْتِينَ لَمَحَكَ
مَا اسْمُ مَنْ نَادَاكَ؟ زَحِزِحْ عَنِ يَدَيِ
وَفَمِي حَمَّالَةَ النَّارِ وَمَشْحَكَ

أُهْمَا مِنْ رَهْطِكَ الْأَخْفَى؟ وَمَنْ
غَيْرُهُ، قُلْ لِي: لِمَاذَا شِئْتَ فَضَحَكَ؟

قُلْ لِمَنْ أَرْسَلَكَ اللَّيْلَ: اسْتَرِحْ
فَالَّذِي تَخْشَاهُ لَنْ يَحْتَلَّ صَرْحَكَ

مَنْ يُسَارِي النِّجْمَ نَجْوَى؟ مُكَرِّدٌ؟
مَا لَدَيْكَ الْيَوْمَ؟ هَلْ أَنْضَجْتَ طَرْحَكَ؟

قُلْتَ لِي يَوْمًا أَصَافِي الْكُلَّ مِنْ
كُلِّ قَلْبِي، هَلْ تُزَكِّي الْيَوْمَ نُصْحَكَ؟

لَا تَقِفِ.. لَبِّ الَّذِينَ اسْتَمَدَحُوا
أَنْتَ أَرْمِي الْكُلَّ إِنْ أَطْلَقْتَ مَدْحَكَ

فَالَّذِينَ اسْتَمَدَحُوكَ اسْتَذَابُوا
وَيُقَالُ الْيَوْمَ عَنْهُمْ صُنْتَ قَدْحَكَ

بَيْتُكَ الرِّيحُ، فَهَلْ تُثْنِيهِمْ
عَنْ هُنَا أَخِيلَةُ تَقْتَادُ سَوْحَكَ؟

قَالَ أَطْغَاهُمْ: إِلَيْهِ يَا فَتَى
شَارِطًا قَبْلَ طُلُوعِ الْفَجْرِ مَسْحَكَ
هَآكَ مَلْيَارًا وَمَلْيُونًا، وَخُذْ
بَعْدَ أَنْ تُطْفِئَهُ مَلْيُونِينَ رِبْحَكَ

جئتُ كي أُردِيكَ، أهلاً، ها أنا
ولماذا يا تُرى حَيَّيتَ ذَبْحَكَ؟

سوفَ أرتدُّ نَظيفَ الكَفِّ، لا
سوفَ تَستَعدِّي الذي يملكُ مَنَحَكَ

لا أريدُ اليومَ مالاً ودماً
أبتغي عن ثروةِ التَّقْتِيلِ نَزْحَكَ

ما الذي جَدَّ فتبدو مُصْبِحاً
غيرَ مَنْ أَمَسَيْتَ؟ هل غَيَّرْتَ نُجْحَكَ؟

كيف غَالَبْتَ الطَّوَامِي؟ قال لي
أخْطَرُ الإِبْحَارِ: ما أعْظَمَ سَبْحَكَ

١٩٩٧ م.

تَوَاجُدِيَّةُ الْمُكَاشَفَةِ الثَّانِيَةِ

وَحْدِي أَشُقُّ مَسْرِيَّ	مِنْ هَجَسَةٍ إِلَى نَبِيٍّ
مِنْ بَذْرَةٍ عَطَشِي إِلَى	أَعْلَى النَّخِيلِ الْيَثْرَبِي
مِنْ قَطْرَةٍ حُبِّي إِلَى	تَدَفُّقٍ تَشْعُبِي
أَرْقَى عَلَى حِرَائِقِي	وَأَحْتَسِي مُذَوَّبِي
لَكِي أَكُونَ غَيْرَ مَنْ	كُنْتُ، أُرَى مُهَذَّبِي
أَعْلُو عَلَى ذَاتِيَّتِي	وَأَيْنَ بَابُ مَأْرَبِي
أَعُودُ مِنْ هَشَائِمِي	إِلَى بَرَاءَةِ الصَّبِي
هُنَاكَ أَصْبُو، هَا هُنَا	إِلَى جِدَارٍ أَحْتَبِي
لَا يَنْطَفِي تَحَوُّلِي	لَا يَنْقُضِي تَقْلِي

أَدْعُو تَجَوُّفِي: أَمْتُ	ذِكْرِي طَعَامِي، مَشْرَبِي
أَجْتَازُ طِينَتِي إِلَى	بَرْقٍ يَفِي وَيَخْتَبِي
سُحْبٌ يَقْلَنُ: يَا ثَرَى	ثُرَّانٌ وَهَى تَصَبُّي
يَقُولُ نَجْمٌ: مَنْ أَنَا	وَنَجْمَةٌ: مَا مَطْلَبِي
إِشْرَاقَةٌ: مَا أَبْتَغِي	ضَبَابَةٌ: مَنْ أَجْتَبِي
هَذَا تَوْشِي هَامَتِي	وَذَا يَشُدُّ مَنَكْبِي
أَلُوْحُ كَرَمَةٍ عَلَى	شَخِيطَتَيْنِ تَرْتَبِي
:مَنْ أَيْنَ؟! مِنْ غَرَابَتِي	إِلَى ضَنْي تَغْرُبِي
مِنْ أَسْوَدِي عَادٍ إِلَى	إِصْبَاحٍ دَيْرٍ تَغْلِبِي
أُرِيدُ مَأْمَنًا هُنَا	مِثْلِي بَدُونٍ مَخْلَبٍ

هُنَاكَ بَاتَ مَهْلِكِي وَكَانَ يَوْمًا مَلْعَبِي
تَرُدُّنِي دَارَ أَبِي فَأَبْتَنِي مُخَرَّبِي
يَقُولُ لِي: مَنْ أَنْتَ يَا؟! تَكَلِّمِي مُكَذِّبِي
أَمَّا أَنَا مِنْ سَبَأٍ؟! مَنْ ذَا سَبِي؟ وَكَمْ سَبِي؟

إِلَيْكَ رَسْمُ إِمْرَتِي أَمِيرُ بَيْتِ «الزَّوْقِي»
 ما «الزَّوْقِي»؟: مُعَسَّكٌ مِنَ الْحَرِيرِ (الْإِذْرَبِي)
 تَرَى الْحِمَى كَسَائِحَ يَحْتَلُّنِي كَالْأَجْنَبِيِّ
 فَمَا سَقَيْتَ حُرْقَتِي وَلَا حَدَوْتَ مَوَكِبِي
 لَا مَشْرِقِي حَنِيتَهُ وَلَا أَصْفِرَارَ مَغْرِبِي
 وَلَا نَعَشْتَ مَوْسِمِي وَلَا دَفَعْتَ مَجْدِي:
 أَلَسْتُ دَارِي؟: قَبْلَ أَنْ تَقُولَ لِي تَأْوِرَبِي
 أَصَبَحْتُ لَا أَشْمُ بِي طِيبِي وَلَا تَطْيُّبِي
 فَلَا أَنَا مِنْ مَغْرَسِي وَلَا أَنَا مِنْ مَجْلَبِي
 مَنْ يَنْتَقِي تَطَوُّرِي وَ«بَاقِلٌ» مُؤَدِّبِي؟!
 تَحْتِي زَفِيرُ غَابَةِ فَوْقِي جِدَارُ ثَعْلَبِي
 أَهْلُوكَ خَلْفُوكَ لِي؟ كَمَا أَضَاعَنِي أَبِي
 نِصْفِي بِنِصْفِي نَاهِشٌ وَرُبُّعُ نِصْفِي مُعْطِي
 يَا رِيحُ مَنْ يَدُلُّنِي إِلَى أَمَانٍ مَهْرَبِي؟

دليلك الثاني أنا	: كيف ترى تأهبي؟!
إليك عنوان ابنتي	خذ رقم بيتي، مكتبي
هناك اسم مهنتي	هنا ممر مركبي
دليلك المعني شري	سفينة من محطتي
وقال عني: إنه	منقضي، مركبي
وإنه علمني	كيف أسوس غيبي
وصاغ لي قرنين من	ظهري، ووجهها يحصي:
وفي انتظار من هنا؟!	: من من هنا يمر بي
فإن نأى أطل من	غيبي حضور كوكبي
من «كوكبان» جئتني!	وأنت شيخ «قعطي»!

الآن مَطْلَعِي أَنَا أُخْفِي، يَشِي تَحْجِي
إِلَى، إِلَى.. مَن غَيْرُ مَن نَبِي رَسُولُ مَكْسِي
الْمُنْتَأَى طَوَى النُّوَى قُرْبِي نَفَى تَقْرُبِي
أُمُّ الرِّيَاحِ هَوْدَجِي بَعْدُ الذَّهَابِ مَذْهَبِي
إِلَيْهِ مِنْهُ أَنْتَحِي عَكْسَ الزَّمَانِ اللَّوَلِي

١٩٩٤م

على جنازة زمن القلب

ماذا ستهمسُّ يا أَلِفُ با؟

إِحْمِلْ فَمَا بِالْغَيْبِ أَنْبَا

وَأَنْمُ من أنف الدجى

بسريرة البرقِ المُعْبَا

أَفْضَى بِأَشْوَاقِ الْكُرومِ

إِلَى أَبَارِيقِ الْأَحْبَا

وَإِلَى بِيوتٍ تَحْتَ أَرْوَقةِ

الْقُصُورِ تَغُورُ تَعْبَى

وإلى تشوّقٍ عاتِبٍ
وإلى تمَنّيِّ قلبٍ عُتْبِيٍّ

وإلى عصافير البراري
والقرى حُبّاً وحَبّاً

مطراً يلي صحواً، وصحواً
ماطراً عنباً وقضباً (٧)

(٧) عنباً وقضباً: العنب معروف، والقضب الكمثرى، وقد جاء وصفها في معرض نغمى الجنة.

بَشْرَبَاتٍ مِنْ بَكَارَاتِ
السَّنَا، أَهْدَى وَأَصْبَا
وَزَوَالِ حَالِيَّ يَنْوُءُ
كَمَا امْتَطَى الْمَجْذُومُ جَرَبًا
أَلْحَظْتَ نَبْضَ الْمُرْتَجَى
يَطْوِي الْمَدَى دَفْعًا وَجَذْبًا؟!
وَيَرِفُ أَوْدِيَّةً وَأَجْنَحَةً
وَقُطْعَانًا وَعَشْبًا
أَقْرَأْتَ فِي عَيْنَيْهِ: مَنْ
وَالِي، وَأَيْنَ، وَهَلْ، وَرُبَّآ؟!
هَلْ سَوْفَ يَعْبُرُ لَيْلَةً
بِالشَّمْسِ، ثُمَّ يَطْلُ وَثْبًا؟

لم لا تجيبُ، أترتي؟
طلبي على المطلوب أربي
المستحيلُ على سواكَ
متى حسبت الصعبَ صعباً؟
كم جئتَ من حلقِ الجرادِ
ناقةً كالتِّلِّ شهباً؟!

وعلى عيونِ بناتِ نعشٍ
و(السُّهى) أنضجتَ عُلبى^(٨)

وعلى سنا البرقِ العجولِ
خبزتَ أرضَ النملِ جدباً

(٨) عُلبى: لحوم الجمال المُسنَّة حتى لا تكاد النار تنضجه،
فشبهوه بالزاد الذي ليس له مذاق.

ماذا لديك؟ لديّ ما
أعيا النبيّ ومن تنبأ
لا السُّرُّ يستدني المريدَ
ولا يشوقُ الهدبُ هُدا

ماذا أفوه؟ عروبة الضادِ

المشرّخ غيرُ عُرْبَا

كلُّ الحروفِ اُحدودبت

شفتاك والأذنان حَدَبَا

ما قلتُ صدقاً لا معاً

ما اخترتُ، ما رونقتُ كذبا

لا صحتُ: يا نمرَ الحمى

دافعْ، ولا استنبحتُ كلبا

قل ما عرفتُ، سمعتُ من

قالوا ولستُ من الألبَا

بعضُ الرؤوسِ مُسَجَّلٌ

يعطي الذي استعطاه سَكْبَا

ولكي يلوح مثقفاً
ينفي (معاويةً) و(كعباً)
ويطحسنُ (٩) ابنَ قتيبةٍ
وإلى (الخليل) يردُّ (سنباً) (١٠)
من ذا دعا المستغربين
لكلِّ زوبعةٍ مهباً؟

(٩) يطحسن: ينسب إلى ابن قتيبة العباسي التعصب لطفه حسين، وهذا نحت حديث.

(١٠) سنباً: قصيدة لنزار قباني اعتمدت على الإيقاع الراقص.

يُبدون (واشنطن) أباً
يحسون قرَح (القدس) نخبا
يرجون محتلاً الديارِ
رجوعَ دارِ نصفِ حربا
لو كان يقبلُ ردّها
ما ابتزها غلباً ونهباً
وهُداه، يقوى شايخاً
مَن أَرْضَعته الحربُ حربا
«كنا صيارفةً وكانوا
في الفلا يشوون ضبّا»
ولذا أتوا أنقى، وجئتم
من وباء السوق أوبى

عَتَقْتَ غَزَا الشَّرْقِ
يَا (إِسْحَاقُ) مِنْذُ نَزَلْتَ غَرْبَا

أَتَحَلَّ عَنْ مُحْتَلٍّ أَمْسَ
مَنْ انْتَقَى، مَا اخْتَارَ نَدْبَا؟

مَنْ ذَا يَطَارِحُ غَاشِمًا
مِنْ مِثْلِهِ يَخْتَارُ صَحْبَا؟

يَوْمًا سَيُلْحِقُ مَرْتَجِيهَ
بِمَا احْتَوَى إِرْثًا وَغَضْبَا

أَوْ مَا ابْتَنَى مِنْ هَدْمِهِمْ
بِالْأَمْسِ مَمْلَكَةً وَشَعْبَا؟

وَاقْتَادَ حَرْبًا بَعْدَ حَرْبٍ
وَاسْتَزَادَ السَّلْمَ كَسْبَا؟

فأدارَ من فوضى التفاوضِ

جانباً، وأماتَ جنباً

فهنا بني دوراً، هناك

حواجزاً، تسعين مخي

ومدائناً صغرى لها

ترفُ الكبارِ البيضُ يُجى

يا (كامب ديفد): من دعا؟

تَبَّتْ يدا بانيك تَبًّا

سَلِّمْ عَلَى (هتلر) وَإِنْ
وَصَفَ الدَّمَّ الْعِبْرِيَّ عَذْبًا

وَابِكِ الصَّهْيَنَةَ الْأُلَى
طَحَنَتْهُمْ (برلين) غَضْبِي

قَالَتْ: لَوْ اسْتَبَقَيْتُهُمْ
لَنَفَوْا أَوْرُوبًا مِنْ أَوْرُوبًا

فَرَمَوْا بِهِمْ وَطْنَ الَّذِي
يَحْيَا لَهُ وَيَمُوتُ حُبًّا

وَبِحِكْمَةِ الْإِعْرَابِ أَفْنَى
الْمُعْتَدِي (جَرًّا وَنَصْبًا)

(بلفور) مَنَّاہم سُدًى

فجباہمو ما لیس یُحی

لطقوس (لندن) أصبحوا

بوقاً، لـ (واشنطن) مذباً

أرأیت یا منعی (دیانا)

من نعی منهم (لمومبا)؟

من ذا رثی (قانا) وزفّ

بحیمہا للرعء سُجبا

أو من بکی (الحمدی) وقال:

الشعب فیہ مات کربا

من ذا أقام على (جهيمان) (١١)

الصلاة وعنه لبي؟

نادى كما يرقى (القنوت)

إلى السما رغباً ورهباً

وبحرمة البيتِ احتمى

فاستخرجته النارُ سَجَباً

(١١) جهيمان العتيبي: هو قائد ثورة الحرم عام ١٩٨٠م.

يا هاتِفَ الغيْبِ انفجرْ
وهَجاً صخورياً ورطباً

حَلَقَ كراييةً على
نجمٍ تحْتُ الأفقَ ربكاً

كنبوءةٍ تهوى المماتَ
على دمِ الشفقين صلباً

عَلِمَ حروفَ الجِريّا
سبئي بأن الرفعَ أسبي

إِنْ شَابَ فَنُ الْحَرْفِ يَا هَذَا

نَخْذُ مَا عَنْهُ شَبًّا

الصَّمْتُ أَحَدَثَ عَنْهُ رُؤْيَا

لَا تُرَى، وَأَخْفَّ شَرِبَا

قُلْ مَا ابْتَدَى؟ وَمَتَى أَطْلَّ؟

أَخْلَتَهُ كَالْمَوْجِ عَبًّا؟

هَلْ قَالَ شَطُّ: مَرَّ بِي

أَوْ قَالَتِ الْأَغْصَانُ: هَبَّا؟!

أَلْخَطَوَهُ أَثَرٌ يَدُلُّ عَلَيْهِ

أَيْنَ اجْتَازَ دَرْبَا؟!

مِنْ أَيْنَ لَاحَ وَمَا أَحَسَّ

وَمَنْ إِلَى شَفْتَيْهِ أَصْبَى؟

الآن أصغى من دعاهُ
فردَّ وشوشةً وجَّبا

أهو المنادي والمنادى
والحبيبُ ومن أحبَّاء؟
أضحى التجمهرَ والخطيبَ
كما يضيف الخطبُ خطبا
واستوحد الريحين يَمَنَ
زعرعَ اليسَّارَ نَجْبا

قالت (سعيدة): بين ذاك

وبين صخر السدِّ قُرباً

ولדתه (روضةُ أحمد)

وعلى يدي (صنعا) تربى

حَضَنَ (القَطِيعَ) و(مَسُوراً)

(عدناً) و(وَادِعَةً) و(إِبَّأ) (١٢)

كَمَا نَرَاهُ قَبْلَ أَنْ

تَمْسِيَ الْعَيُونُ فَتَاتِ حَصِيَّ

وَنَعِي لُغَاهُ قَبْلَ أَنْ

تُحْشَى الرُّؤُوسُ حَصِيَّ وَتُرْبَا

(١٢) القطيع، مسور، عدن، وادعة، إب: قرى وبلدات من خمس مناطق في

اليمن.

ومن اجتباه؟ محافدٌ
طلَّعُوا من (الأحقافِ) شُهبا

بعضٌ إلى بابِ الإله
حباً وبعضٌ منه دَبَّ

نادوه (ميموناً) عليه
حدائقٌ - سُمِينَ - (غلباً)

وما زُرَ صفرٌ على
حُمِرِ الحُلَى تنصبُ صبا

فدعوته: رَبَّ الْبَيَانِ
من اشترى للربِّ ربًّا
فأتى الذي نحى (علي مقل)
وردَّ (صلاَح) دُبًّا
ماذا؟ أتَيَّاري كَبَا
أو من حَداهُ كان أُنْجَبَا؟
سأُكاشِفُ المَجهولَ عنه
وأُقرأُ الأَطْيَافَ كُتُبَا
وأُحصِنُ الأَلْوَانَ مِنْ
أنْ ترتديها أيُّ (حِربَا)
حتى أرى سرَّ الطَّيِّبِ
ومن بخدعته استطبَّا

فَأُبْتُ مِنْ يُدْعُونَ مِنْهُ
وَقَطَّعُوا جَنْبِيهِ إِرْبَا
مَنْ قَالَ جَلَّ لِأَنَّهُ
سَبَقَ الرَّدَى ذُبْحاً وَسَلْبَا؟
مَنْ أَجْدَبَ الْأَعْطَى وَأَرَعَى
أَهْلَهُ فِي الْقَحْطِ خَضْبَا

فدَعَوْه أَوَّلَ مِنْ سَبِي
جَنِيَّةً وَاحْتَلَّ (زوربا) (١٣)

وَأَنَالَ كَفِيهِ السَّمَا
وَاسْتَحْلَبَ الْأَقْمَارَ (صَهْبًا)

فَعَدَا أَرْفَ مِنْ الرِّيعِ
مِنْ الْغَمَامِ أَحَنَّ قَلْبًا

وَأَنَسَابَ يَرْفُلُ وَالسَّنَا
وَشَى الرَّبِّي سِرْبًا فِسْرَبًا

رَكَبَ الضَّحَى، وَإِلَى الْأَنْبَايِبِ
أَنْثَى الْوِلْدَانَ زُغْبَا

١٩٩٧م

(١٣) زوربا: اسم أجنبي، ولزوربا قيمة فينة لأنه بطل رواية الروائي اليوناني الشهير زاكي في وصفه حرب اليونان الدفاعية.

عن سريرة الحجر

يا صمْتُ ما حولي ويا صمتي
أأشُمُّ في رعشِكَ صوتي

أَتَقُولُ لي: أَيْنَعَتَ يا وَهَنِي؟
قُلْ لي: متى أَوْرَقْتَ يا نَبْتِي؟

أأنا وَصَلْتُ وما انتوى سَفْري
مِنْ جَفْرِ سَتْنِي إلى سَتِّي؟

سِتِّ عَلَى سِتِّينَ يَا رَهْقِي
هَلْ أَجْتَدِي وَقْتًا إِلَى وَقْتِي؟
مَا خَلْتَنِي جَاوِزْتُ ثَانِيَةً
هَلْ عُدْتُ مِنْ أَحَدِي إِلَى سَبْتِي؟
قُولِي: هَلْ اعُوجِّتُ يَا طُرْقِي؟
وَذُهِلْتُ عَنْ عِوَجِي وَعَنْ أُمْتِي

هَمَسْتُ إِلَى الْجِدْرَانِ قَامَتُهَا
يَا أَعْظُمِي اجْتَمِعِي أَوْ انشَتِي
يَا كُلُّ جَارِحَةٍ أَنْوْءُ بِهَا:
مِنْ هَا هُنَا أَوْ مِنْ هُنَا انْبَتِي

أدركتُ هدمي قامَ من قدمي
فرحلتُ من عَجْنِي إلى فِتْيِ
لا ها هنا أهلي ولستُ أنا
ولا التي عني أتتُ أختي
لا عن أبٍ أغصنتُ، لا سألتُ
عني عَجُوزٌ: من رأى بنتي؟
يا ريحُ: رُدِّي موطني، وطني
فلتسكبي وطنينَ منْ تي تي

هل تُضمِرُ الحيطانُ فلسفةً
حتى يؤاسي كتبها كُتِبِي؟

بل هذه الطُّوبَاتُ مُذْ وَقَفْتُ
حَلِيَّتَهَا، فَاحْتَلَنِي بَيْتِي

أَخْشَى أَلَا قِي هَكَذَا جَدُّثِي
سَيَّانَ يَا عُمْرِي وَيَا مَوْتِي

زَهَبَ الَّذِي أَوْلَيْتَهُ شُغْفِي
وَبَقِيَ الَّذِي مَا اعْتَاقَهُ مَقْتِي

الآنَ لَا بُغْضِي وَلَا مِقْتِي
مَنِي، وَلَا خُبْرِي وَلَا نَعْتِي

مَاذَا وَرَائِي يَا مَمْرُومَنَ
أُغْبِي، أَنَا أَمْ حَضْرَةُ الْمُفْتِي؟

ليلة

الليلةُ ارتدَّت من المنتهى
كأن وجهَ الشمسِ ظهرُ السُّهى

صبحٌ ك لا صبحٍ، ك لا ليلةٍ
يراطمُ الأعمى بها الأعمَّها

كأنما آخرها بدؤها
كشايهٍ يستتبعُ الأشوها

وما درتُ هل رجعت أو سرتُ!!

لأن من يُدعى الضحى ما ازدهى

ولا وشتُ ماذا دهاها، فهل

تساءلت عنها وعمّا دهى؟

ما باح نجمٌ عن سراديبها

ولا احتراقُ البارقِ استكنها

(بناتُ نعشٍ) ضيّعتُ نعشها

وضاع كالأرياح من نوها

الليلةُ اختلّت موازينها

ومنّ نعاها كالذي قهقهها

لأنها إن نبّهتُ خاملاً

فهي التوتُ كي تخمل الأنبا

وقال مصباحُ الطريقِ: انثنت
مَنْ قال هذا؟ قلبي استكنها
سمعتُ مسراها اشتى سيرها
خلفاً، وقالت: أشتى ما اشتى

عادت إلى البدء الذي ساجلتُ
فيها السواقي والكَلَا والمَهَا
حيثُ الهوا يحسو ضياءَ السما
ولا يرى هذا بداً أشبها

وكان نهجُ العشقِ دينونةً
إذا تغنى قيل: مَنْ أوَّها

يشقُّ ذا التَّهْيَامِ شَخْصِينَ، ذا
أباً حَكِيماً، ذا فتىً أبلَّها

هذا يُوعِي حَرفه أحرَفاً
وذا يعي حَرفين: صَاداً وها

هذا زمانٌ علّم ابن الثرا
نبوءة الأرضِ وسرّ البها

راضى (زهيراً) و(تميماً) كما
أرى أساس الدولة الأفوها (١٤)

لأنه من زمن الكهربا
أرخی يقوي زنده من وها

(١٤) الأفوها: هو الأفوه الأودي، أول شاعر نادى بقيام نظام بناؤه هكذا:

لا يصلحُ الناس فوضى لا سُرّة لها

ولا سُرّة إذا جُهاّهم سادوا

تُهدى الأمور بأهل الرأي ما صلحت

فإن تولت فبالأشرار تنقادُ

والبيت لا يُبتنى إلا له عمْدُ

ولا عمادٌ إذا لم تُرس أوتادُ

فإن تجمّع أوتادُ وأعمدةُ

وساكنٌ بلغوا الأمر الذي كادوا.

أليس عصرُ الكهربا غاشماً؟
يجري نقيضُ القلب، عكسَ النُّهى

يُعطي القياداتِ سفياً إذا
عنها توانى رثَّ الأسفها

يرمي الملايين هدايا لمن
لديه ملياراتٌ كي يرفّها

ما أضيعَ الإنسانُ فيه إذا
أطاعَ كرهاً، إن عصى مُكرهاً

لا أنضجَ اليومَ اتقادُ الضُّحى
ولا درى المريحَ ماذا طها؟

بنت القسمة والنصيب

كنت بيتي وأنت في بيت أخرى
أضحت الشوق، مثلها بتُ ذكرى

هل أغنيّ لها: هنيئاً مريئاً
أم أقول: الطلاق أهناً وأمرأ؟

بيتها بعد ذا سيبدو جديداً
وستبدو عاماً أخفّ وأطرى

هل أرثيك يا التي، أم أهني؟
هل دموعي عليكِ أو منكِ أجرى؟

يا الذي تعصر الربيع وتحسو
دمهُ ساخناً، وترميه قشراً
تبلعُ الناهدات كيما تُغطي
سمعةً عنك.. هل أسمىك قبراً؟
هل ترى هذه الأخيرة تكفي
أم ستمتصُّ ثيبيْنِ وبِكرًا؟

عبرت ليلةً عليكَ لديها
أنت ألهي عنها بها، وهي سكرى
ورأتك الصبحَ أهنأً بلقيا
من رآته أخرى بها، وهي أخرى

أتراني أوريْتُ فيه اشتياقاً؟
ليس مثل الذي بنهديكِ أوري
زوجةُ الأمس، عنكَ قالت وعنه
ما بدا لي، أيُّ العشيرين أبرى؟

لو أنا (نازك) طبخت الثواني

لعشاياهما طيوفاً وشعرا

كلُ حسناء تُنضجُ الحلو أشهى

الأزاهيرُ تطبخُ الطلَّ عطرا

والنجومُ التي تطيرُ شعاعاً

وشظايا، تُعقِدُ الليلَ فجرا

ضيفنا يا (صلاح) جذعُ رمالٍ

إن أرى رونقاً فما نثَّ سرّاً

لو هواهُ هواك (نجلُ حزام)

كان من خلف ظهره زوج (عفرا)

كُنْتَ إِنْ غَابَ عَنْكَ يَوْمًا تَرَاهُ
مُسْتَسِرًّا فِي كُلِّ سَارٍ، وَمَسْرَى
تَجْتَلِيهِ فِي مَاءٍ غَصْنِي مَكَانِي
مِنْ قَيْصِي، يَبْدُو لَعِينِكَ أَعْرَى

وَهُنَا نَزَمْتِي لَصِيقَيْنِ، تَطْوِي
بَيْنَنَا مُتَرَعِ الْإِزَارِ وَعَدْرَا
وَتَوَشَّى مِنْ الرُّؤْيِ يَوْسُفِيًّا
سَاقَ حَنْطِيَّةٍ وَأَعْطَافَ شَقْرَا
ذَاكَ مَنْ كَانَ فِي هَوَاكَ شَرِيكِي
قِيلَ عَنْهَا: غَدَتَ بِهِ مِنْكَ أَغْرَى

كان يأتيك زائراً لا يراني
وأراه فتىً، كمولات كسرا

يتهادى، يؤنث اللين فيه
خَصْرُ (بِشْرٍ)، كما يُغْلَمَنَ (بُشْرَى)

فهو مهوى التي، وذاك، ولكن
يستبي عشرةً، ويحتلُّ عشرا

أهو عند التي كما كان عندي؟
لست تدري، لشقوتي صرتُ أدرى

يا وريثَ الغنى، وما كنتَ أهلاً
بانتفاخ الغنى ستبتاعُ فقرا

أنتَ في سكرةِ الصِّبا والتَّصابي
بين هذي وذا، تُباعُ وتُشْرَى

أَيُّ بَيْتِكَ قَالَ تُنْمِي إِلَيْهِ
أَوْ رَوَى عَنْ أَبِيكَ: مَنْ أَيْنَ أَثَرِي؟

لَيْسَ فِي ذَا عَطَرُ الْحَدِيثِ، وَهَذَا
مَنْ يُلَاقِي وَرِيقَةً فِيهِ تُقْرَأُ

يَا ابْنَ أُمِّيَّةَ الْمَكَانِينَ تَبْدُو
مُسْتَزِيداً أُمِّيَّةً مِنْكَ أَزْرَى
هَلْ حَكَتَ عَنْكَ خُضْرَةٌ فِي طَرِيقٍ:
مَرَّ ذَا مَنْ هُنَا، هُنَاكَ اسْتَقْرَأَ؟

مَا الَّذِي تَنْتَمِي إِلَيْهِ، أَتَمْشِي
خَالِياً مِنْكَ، فَيْكَ تَجْتَازُ قَفْراً؟

لَسْتُ أُلْسِي عَلَيْكَ زَوْجًا، وَلَكِنْ
أَدْمِيًّا أُمْسِي كَثِيبًا بَصْحْرًا

كَيْفَ مَا كُنْتُ، مَا تَزَالُ ابْنُ عَمِّي
وَابْنُ أُمِّي الَّتِي يُسَمُّونَ (خَضْرَا)

«وَسَوَاءٌ عَلَوْتُ فِي أَيِّ بَحْرِ
بَطْنَ نُوحِيَّةٍ، أَوْ اخْتَرْتُ ظَهْرًا»

مَا الَّذِي قُلْتَ عَنْكَ؟ هَلْ سَيِّئَاتِي
عَنْكَ تَبَرًا، أَمْ مِنْ مُحِبِّائِكَ تَتَرَى؟

١٩٩٥م

تُحاور.. مُحبّة.. نَقاء

من ذا أناديهِ حميمي
عني نأى نصفِي، كَلِمِي
(عِزِّي) لماذا مَتَّ دوني؟
زدتِ مِنْ أَلَمِ الأَلَمِ
أرحلتِ وحدَكَ مُبقِياً
لي صحبةَ الوضعِ الزنيمِ؟

زمن الذين تبیدروا
 قبل الوصولِ إلى (طمیم) (١٥)
 من ذا أغنیهِ؟ أَدَاجِ الصمتِ
 أحدُو غیرِ هیمی (١٦)
 مَنْ ذا أشاکی، مَنْ هنا
 یا صُحبةَ (العزّي الیریمی)؟
 یا بنتَ أمِّ رفاقة...
 قالت أمومتها: استديمي
 کنا لها کبشاشةِ البستانِ
 للمطرِ العمیمِ

(١٥) طمیم: الخادم الخاص في قصر الإمام البدر.

(١٦) الهیم: المنسوبة إلى المتكلم هنا، وهي الإبل العطشى اللابثة على الماء.

قلنا وما قالت: أرى
خَيْمَيْكُمَا مِنْ جَنْسِ خَيْمِي (١٧)
أُضْحِتْ لَنَا وَطَنًا تَأَلَّفَ
مِنْ صَمِيمِكَ، مِنْ صَمِيمِي
أَفْضَتْ بَرِيَّاهَا كَمَا
يُفْضِي الرَّبِيعُ إِلَى النَّسِيمِ
وَكَمَا تُؤَثِّي بِحَتَّانٍ
مَلَاسَةَ الصَّوْتِ الرَّخِيمِ

(١٧) الخيم: جوهر الطبيعة الإنسانية.

يا ثلثَ قرنٍ كنتَ عُرْسَ
العمرِ، منبِجَ النعيمِ
نَظَمَ الصداقةَ والصديقَ
بجبةِ القلبِ الأموي

منك انبثقتُ طفولةً
أصبي وأغفرَ منْ حلِيمِ
الليلُ غيرُ الليلِ فيكَ
ضُحَاكَ معجزةُ العقيمِ

غنيتَ: يا يمني أفقُ
يا أمَّ أروى لا تغيمي
وأدرتَ نفسك حولها
سوراً خُرافيَّ الرجومِ

أرأيتَ كيف أفاقَ
لا يدري الظلامُ من الظليمِ؟

سيَّان في إنصاته
نبرُ القَطَا وصفيرُ بومِ

لَطَقِيقُ أحذيةِ الجنودِ
يُصِيخُ كالغلسِ البهيمِ

أَتُظَنُّ تجربةُ الوليدِ
نُخبرةِ الشيخِ الحكيمِ؟
ذاك الوليدُ أما التَّحَى؟
يبدو عليه ضنى الفطيمِ
عشرون مُدَّ عَوْدَتَهُ
مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمِ
أَشْهَدَتُهُ وَافِي؟ بلا
قَبْلِ، بلا ياءٍ وميمِ
وَمِنْ الْأَسَى تَعَزَّوْ ضَالَّتَهُ
إِلَى الْأَمْسِ الذَّمِيمِ

ولذلك امتصَّ الرواضع
وهو كالرُّبع الرُّحومي (١٨)

أيسمنُّ البترولُ ذاك؟
سلَّ الحريقَ عن الهشيمِ

أتراه يملك ذاته
في زحمةِ الريحِ السَّموم؟
الآن يعضُّ هجمةً
كي يمتطي ظهرَ الهُجومِ

(١٨) الرُّحومي: الربع الرحومي عملة ورقية صغيرة كُتب عليها «وزير المالية أحمد الرحومي»، وعند استعمالها كان يقول «البائع: بريالين وربع رحومي.. وبطول الاستعمال حَلَّت كلمة الرحومي بدل الربع، فيقال: بريال رحومي، فصار اسم وزير المالية اسماً لتلك الوريقة على امتداد السبعينيات.

قل: يا حَمِي من ذا حَمِي؟

الناطق الرسمي وجومي

هل كنتَ قبلَ النفطِ أُنْسى

بالشروقِ وبالجميمِ؟

ما مِتُّ يا هذا، ولا

ليلُ المَكَلِّ بالنَّوومِ

نفطي أعزُّ، دمي لماذا

لست أقوى من مُقيمي؟

أأطيقُ أنجو، هل نجا

مربعُ زمزم والحطيمِ؟

أولست أولَ مَنْ دعا
أمَّ الأمانى: لا تهيمي؟
وتساءلي قبل الرحيل
عن الطريقِ المستقيمِ
وعن الرفاقِ، وأيُّهم
أهدى إلى السوقِ الأثيمِ
هل هذه الشركاتُ إلا
مِنْ شياطينِ الجحيمِ؟

يا موطني أسلمت وجهك
للمساوم، للمسيم
يسقيك من دمك الكؤوس
وينتقي أدهى نديم
جرب كثيراً مصرع الشجعان
قل: هذا غريمي

ذاك المنقب يدعي:
المصرف الدولي زعمي
يغزو المنابت كالجراد
مهدداً: يا دور صومي

يا صُحْبَةَ «العِزِّي» رَجَوْنَا
أَنْ تَدُومِي، أَوْ تُدِيمِي

كِي تَقْرَعِي الْأَجْرَاسَ قَبْلَ
تَأْهُبِ الْخَطَرِ الْغَشِيمِ

نُثْنِي الْجَرَادَ الْآدَمِيَّ
عَنِ السَّنَابِلِ وَالْكُرُومِ

عَنْ تَيْنِ «وَادِي ظَهْر»
وَالرَّمَانَ وَالْبَلَحَ التَّرِيمِي

يا صُحْبَةً كَانَتْ أَحَنَّ
إِلَى الْحَصَادِ، إِلَى التَّلِيمِ
أَحْنَى عَلَى الرَّاعِي، عَلَى
الْمَرْعَى، عَلَى الْغَنَمِ الرَّؤُومِ

فِي السَّفَرِ تَنَأَى، تَشْرَبُ
إِلَى الْإِيَابِ مِنَ الْمَقِيمِ
فَهِيَ الْمُدَّعُ وَالْمُدَّعُ
وَالْحَنِينُ إِلَى الْقُدُومِ

(عِزِّي) نَبَا الْإِنْسَانُ عَنْهُ
نَبُو قَافٍ بَعْدَ جِيمٍ
أَقُولُ: حُبُّ الْأَرْضِ لِي
وَحْدِي، وَأَجْمَلُهَا حَرِيمِي؟
أَوْ مَا السَّعِيدَةُ زَوْجَتِي؟
سَأَصِيحُ: لَسْتُ سَوَى قَسِيمِي
مَا قُلْتُ: كَيْفَ نَثَائِرِي؟
سَأَقُولُ: أَحْلَى مِنْ نَظِيمِي
فَنَّ الْكُتَابَةِ وَالْخِطَابَةِ
فِيكَ شِعْرِي عُمُومِي
يَجْتَازُ رُومَنْتِيَّةَ «الْعَقَادِ»
أُورَبَةَ «الْقَصِيمِ»

كنا وثالثنا الكتابُ

نفوه بالدرِّ اليتيمِ

ومن الغلافِ إلى الغلافِ

نعيدُ تسميةَ الحُجُومِ

نستخبرُ الأطلالَ عنها

والرُّسُومَ عن الرُّسُومِ

نستصبحُ «الأعشى» ونستَمسي

سراجَ «ابن الخطيمِ»

من أولِ «الطبري» نغوصُ

إلى اختتامِ «ابن العديمِ»

من «مِسْكُوِيَه» إلى «الجَبْرَتِي»
و«الْحَوَالِي» الفهم

من مذهب «الكوفي» إلى «المَكِّي»
إلى النهج التَّميي

من «سيبويه» إلى «الخليل»
إلى «ابن منظور» القويم
نبكي بذِي سَلَمٍ، ونسْتَبْكي
على المَضْنَى المَهِيمِ (١٩)

(١٩) المَهِيم: المصاب بالهيام إلى حد تداعي قوته.

نَلْجُ الْبَلَاغَةَ قَارِئَيْنِ
قِرَارَةَ الْحَبِّ الْكَظِيمِ
جِئْنَاكَ يَا «مِفْتَاحَ» مِنْ
أَلَقَ الْوُضُوحَ إِلَى الْغُيُومِ (٢٠)
بَيْنَ الْعَقِيقِ وَرَامَتَيْنِ
أُنُوثَةُ الْجَسْمِ الْجَسِيمِ

(٢٠) مِفْتَاح: اسم كتاب «مِفْتَاحُ الْعُلُومِ فِي الْبَلَاغَةِ» تأليف السكاكي الذي كان يضع للمسألة أكثر من وجه لكثرة أَقْبَسَتِهِ بالفقه والنحو حتى تبدى الكتاب غير بلاغي.

تحدُّو، ومصفراً البَقاع
يثنُّ كالبلدِ السقيمِ
فمَرَّ نستسقي الرِّجا
مَطَرِيَّةَ الآتي الوسيمِ
السُّحْبُ عِمَّتُهُ، وَمِنْ
حولِهِ مُخَضَّرُ الشَّميمِ
نشدو ونحسو، لا نلومُك
يا بروقُ ولا تلومي
نَصِلُ القصيدةَ بالقصيدةِ
والحدائثَ بالقديمِ

مِنْ دَارِ «مِيَّة» يَا «وَصَاب»

إِلَى فِنَا «عَبْدَ الرَّحِيمِ»

نَصْغِي إِلَى «قَفْ بِالْخُضُوعِ»

وَنَجْتَلِي وَجْهَ الْكَرِيمِ

وَنَرَاهُ فِي مَقَلِ النُّجُومِ

وَفِي مُحِيَّا كُلِّ رِيمِ

نسري على ضبيع الفلأ
ونشمُ سلمى عن سليم
فيقالُ عَنَّا أخطر العُشَّاقِ
أفضح للكتيم
كي نجتني الأُحلى نَفَرْدُسُ
باطنَ الوجهِ الدَّمِيمِ
كنا نُعادي، نرتقي
فوقَ الخِصومةِ والخِصيمِ

أَسْمَعْتَ يَا (عِزِّي) إِلَى
لُغْوِيَّةِ الشَّبَحِ الْهَزِيمِ؟
أَقُولُ: عَمَّنْ تَبْحَثَانِ؟
عَنِ السُّعَاةِ بِلَا نَمِيمِ
عَنَا وَعَنْكَ، وَعَنْ حَمِيٍّ
يَعْلُو عَلَى أَعْلَى الْهُمُومِ

عَمَّنْ تَخُوضُونَ الرُّكَّامَ
إِلَى أَقَالِيمِ السَّيْمِ؟

وَمِنَ التَّخُومِ النَّائِيَاتِ
إِلَى مَدَى خَلْفِ التُّخُومِ

عَنْ شَيْخِ أَهْلِ الْكَهْفِ
نَسْتَفْتِيهِ عَنْ أَهْلِ الرِّقَمِ

أهنالك اليمن الذي
لا تعرفان، أكان رومي؟

أتبشّران بموطن أهنّا
بمجمع نجومي؟

هذا بلا داعٍ يكرُّ
من الشظايا والكُوم

يأسى كما نأسى، يُقوِّنا
على الزمن السَّيم
فينا يدورُ وينهمي
من فوق ذي علمٍ عليم

ويشير: يا «صنعا» اصعدي
وعلى المني رفي وحمي
والى العلا يا «قولد مور»
يا «صيرة» التمي وقومي
كوني حديداً يا «حديدة»
أو إلى آتيك عومي
من أين ندعوا كواكب
لا تنامي، بل أنمي
«عزّي»: أتدري يوم غبت
نزحت عني من ريمي
أدعوك: هاك بقيتي
من قبضة الطين الوخيم

مِنْ أَيْنَ تُلْسِنِي يَدِيكَ؟
تُرَى بَذَا كَرْتِي لَزِيْمِي
أُسَبِّقْتَنِي تَنَايَ بَيْتِي
عَنْ مَجَاوِرَةِ اللَّيْمِ؟
الآنَ أَبْحَثُ عَنْكَ بِي
وَأِيْلِكَ أَعْلُو مِنْ أَدِيْمِي
مَاذَا سَأَجْنِي - عَنْ يَدِي -
يَا نَجْمَةَ الْأَعْرَافِ شِيْمِي

م ١٩٩٧

—== مسافات زوج تمّنيّ ==—

الآنّا هنا بدأنا التلاقي
ظَلَّ يصفو لنا عليه التّساقى؟
ورفاقيةٌ تُغنيّ، تنادي:
يا ليالي تخفّفي كي تُطاقى
ولماذا تستقلان احتمالي؟
روّضاني على اغتصابِ ارتفاعي

أَيُّ وَادٍ هُنَاكَ يَوْمِي إِلَيْنَا؟
أَدْخُلَا، أَنْتَمَا مَنَاطُ اسْتِيَاقِي
سَلَخْتَنَا الرِّيحُ وَالْقَيْظُ، مَاذَا
سَوْفَ نَلْقَى عِنْدَ التُّخُومِ السَّحَاقِ؟
بَيْنَنَا وَالْوَصُولِ «قَاعُ حُمَيْدٍ»
ثُمَّ نَجْتَازُ نَصْفَ ذَاكَ الزُّقَاقِ

وَدَنُونَا وَالْأَرْضُ بِالسُّورِ تَعْدُو
وَهُوَ يَدْعُو الْمَدِيرَ: فُكَّ انْغِلَاقِي
قَالَتِ الْكَرْمَةُ الْمُطَّلَّةُ: ذُوقَا
صَفْوَةَ قَلْبِي، مُعْتَقٌ مِنْ فَوَاقِي (٢١)

(٢١) الفواقي: منبت الأربعة المحالب في البقرة والنعجة والناقة.. ويسمى أصحاب الأغنام الضرة.

ما اسمُ ما نحتسيه؟ أنساني اسمي
استبقني وخُذْ غرورَ استباقي
المراراتُ قبلَ هذا المُصَفَّى
أفقدتها مذاقها كمذاقي

وبلا أيِّ لمحة خَفَّ ساق:
هاكُمَا أُخرينَ غيرَ دِهَاقِ
ما اسمُ هذا؟ أذوبُ شمسٍ؟ سَلِيهِ
قبلَ بدءِ النجومِ فاضَ اندفاقي
ذاك قبلَ الدخول: ماذا تبقى؟
كلُّ شيءٍ إِلَّا ضبابَ اغتباقي (٢٢)

(٢٢) اغتباقي: الاغتباقي الإفراط في الشراب ليلاً، لأنه نَحْتُ يستدعي المزيد، فيستكثر الشارب ولا يدري من برودة الليل.. ولهذا تسمَّى الاغتباقي خاصة بالشرب الليلي، ويسمى الشرب في الصباح اصطباح وصبوح.

قال جدِّي: من زفَّها الشوقُ سُكْرًا
ما أفاقت إلا للُقيا الطلاقِ
ذَكِّرْني متى اجتنينا رجاء؟
ربما اليوم فهو ربانُ واقِ
ما الذي ترتئي، أنغشاه؟ نغشى
خَلْتُ شيئاً كصدقِ يومِ انعتاقِ

ودخلنا، دَلَّى إلينا سماءَ
وصَلَّتْنا بفيضِ أعلى الطِّباقِ
وانهمينا، ومن هُيُولِ التلاقي
ضمَّنا باقةً، أزانَ اتِّساقِ؟

قال شيخُ الحِمَامِ: أحدثُ ماذا
 أتراني أحسنتُ جبرَ انشِقَاقِي؟
 عادُ بعضُ الذي نأى يومَ هولٍ
 راکِضَ العَصَفِ آخِذاً بِالْخِنَاقِ
 فتمنّتُ زيتونَةً لو بنى بي
 بنتُ عشرٍ أرى النجومَ صِدَاقِي
 خِلْتُ في قلبه مُصَلَّى نبيٍّ
 آمراً: قل وذاك مثوى نفاقي
 أخبرتُ تينَةً: صفاه يَضَاهِي
 صلواتِ الحُجَّيجِ، غَوَتْ المَعَاقِ
 وروى الزيزفونُ عن وجهِ «بوزا»
 خالَهُ نَسْلُ فيلسوفٍ «رواقِي»

قال راجي: هل ذادنا أمسٍ لَمَّا
تَفَلَّتْنَا حَرَّاسُ بَابِ ارْتِزَاقِي؟
إليه راجي، قالوا: وضعتَ كتاباً
عن غموضِ المؤامراتِ الدِّقَاقِ
هل تَحَمَّلْتُمَاهُ؟ قالت «تَمَنِّي»
واحداً ما استطاع يوماً فراقِي

كيف خلّفتُما الحمى؟.. دُودَ قتلَ
تبتني للكلابِ أنجى المراقِ
قال مشكى: من ذا امتطاه غراباً
يا سَمَاهُ، كما فقدتُ ازرقاقي؟
فترامت بنا المسافاتُ حتى
أبلغتنا أعلى عظام التراقي
كنتُ أخشى تذوي «تَمَنِّي» وتُضني
منكبها بجملِ نصفِ احتراقي

أَمْعاً ترحلان؟ جنباً لجنب
صرتُ معراجها، وأضحت بُراقِي
ننشدُ الموطنَ المسمَّى سعيداً
في الفيا في وفي المدادِ المُرَاقِ
في الخوالي تحتَ الحصَى والشظايا
في أَسَى أعينِ رمتها المآقي

كنتما في المَتَاهِ نجوى احتمالي
أن أُلَاقِي بعضي وأوفى رفاقي
ودعانا داعي الغدا واكتشفنا
في مطاويه برمكياً عراقِي
أخبرَ الأهل: ها هما من ذويننا
عهدنا واحدٌ قويُّ الوثاقِ
واعتقنا ونحسُّه من بنيه
أنقياء لا ينشدون التَّنَاقِي

مَنْ نُنَادِيكُمْ؟ تَمَنِّي وَرَاجِي
 وَأَنَا «نَاصِرٌ» وَذِي «أُمُّ رَاقِي»
 إِنَّ بَيْنِي وَأَنْتَ صَدَقَ عَهْدٌ
 صَانَهُ اللَّهُ مِنْ رِيَاكِ الْحَاقِ
 قَالَ رَاجِي: بَدَتْ كَأُمِّي وَقَالَتْ:
 شِمْتُ فِيهِ فَتَى أَجَادَ اسْتِرَاقِي
 هَاكُمَا الدَّارَ تِلْكَ، فِي سُورِ دَارِي
 قَالَتِ الْخَوْخَتَانُ: نَمَّ بِالتَّصَاقِي
 يَا «تَمَنِّي» أَنْحَنُ جِئْنَا ضَيُوفًا
 أَمْ طَيُوفًا؟ قُلْ مَا تَرَى يَا انْطِلَاقِي
 كُلُّ هَذَا الْبَقَاعِ أَخْبَرَنِي قَلْبِي
 عَنْكُمْ، رَحْتُ جِئْتُمَا مِنْ سِيَاقِي
 مِنْ بَحَثْنَا عَنْهُ وَجَدْنَاهُ فِينَا
 كُنْتُ أَعْلُو، أَهْوِي بِأَمْرِ انْزِلَاقِي

يا أبانا: أفيضك السَّح هذا
وجهك الأصل أم جديد الزَّواقِ؟

والتقينا ضحىً فهشَّ ونادى:
«المَقَالِي» يا بنت موسى اللياقِ
في عناقِ الوصولِ ذابَ وجودي
فيكما، كيف غبُتما في اعتناقِ؟
التأمنا من الثَّنى والثلاثا
واحداً من بديعِ أرضِ وفاقِ
أنما كلُّ بُنيّتي، نَسْعُ طولي
من ذُرَى هامتي لأعْظَمِ ساقِ

كُنْتُ بِالْأَمْسِ شَائِحًا كَلْبِيدٍ
أَنْظِرُ الْقَبْرَ مُمَعْنًا فِي لِحَاقِي
وَأَنَا الْآنَ ثَلَاثُ اثْنَيْنِ، أَحْلَى
مَنْ صُحِّي الْعِيدِ فِي مَصِيفِ اثْنَيْنِ

وَأَرَانَا مَزَارِعًا وَرِيَاضًا
شَادِيَاتٍ: بِذُلِي لَكُمْ وَائْتِلَاقِي
وَأَنْحَنِي يَقْرَأُ الشُّرُوحَ حُرُوفًا
نَهَّ النَّبْتَ، تِلْكَ بُشْرَى انْبِثَاقِي

انظُرَا، هذه الفجأُ مراعي
سأُتَمَاتِي، وتلك مَمْسَى نِيَاقي
والبساتينُ المُنْقَلَاتُ ترى مَنْ
تَجْتَبِي أَمْرَ الْبَنَانِ الرِّقَاقِ
ولمن بعد ما؟ لعشرين أَرْمَى
ولسبع من مُحَكَّاتِ النَّطَاقِ
لـ«تَمَنِّي» نصيبُ إحدى اللواتي
ولـ«راجي» سَهْبٌ ووادي الحَبَاقِ
تودِعُونَ الْحِمَى القلوبَ فترهوَ
بِتَبَارِكُمُ ظُهُورُ الْعِتَاقِ (٢٣)

(٢٣) العتاق: الخيول الأصيلة، لأن العتيق والعتيقة هو الجمال القوي الدائم، ولهذا سُمي الحرم: البيت العتيق، لأصالته وقَدَمِهِ واحتفاظه بمكانته.

أَنْتَ سَيْلُ السَّيُولِ، يَمْضِي وَيَأْتِي
مَنْ مَجَارِيهِ مَرْتَعٌ مِنْهُ بَاقٍ
قُلْتُ بَعْدَ الْوَصُولِ: مَنْ ذَا هِدَانَا؟
قَالَ رَاجِي: فَفَقَهُ الْقَطَا بِالسَّوَاقي



في زفة الجواهري

من آخر المجرى إلى أول النبع

”

(إضاءة: من منظورٍ يساريٍّ غاص الجواهري في
أهم قضايا العصر ك: الحرية والضرورة، والمقاومة
والانكسار والإرادة والعجز، والطغيان والثورة،
وقضية الحياة والموت، ولكن في قالب عباسي، كان
صوته رابع ثلاثة: بشار بن برد، أبي نواس، البحري.
فاتجه الأخير إلى زمن معجمه الأول: أليس التاريخ
قبر العظماء؟).

“

أنهى طريقاً مُستَهلاً طريقَ
نهاية العنقودِ بدءُ الرحيقِ
كما تحنِّي آخرَ الليلِ يا
(عيوق)، يَبْيُضُ الرمادُ الخنيقُ
مسافةُ الثلجيِّ تَسُودُ كي
تدمى على أسلاكِ بابٍ غليقِ
يمضي الذي يأتي، ويأتي الذي
يمضي، وفوضى السيرِ مثل النسيقِ

أَظَاهَبُ أُمَّ آيَبُ أَنْتَ يَا
(جواهري)؟ سَلْ أَهْلَ وَادِي الْعَتِيقِ
هَمْ جَوْهَرُ (النَّاسُوتِ) مِنْ أَصْلِهِ
أَهْلُ حَقِيقِيَّوْنَ، وَادٍ حَقِيقُ
لَأَنَّهُ مُذْ رَفٍّ، إِنْ أَعْنَسَتْ
حَدِيقَةُ زَفٍّ إِلَيْهَا الْحَدِيقُ
مَا حَمَلَتْ مَهْدَ الصَّبَا حَامِلُ
إِلَّا عَلَى طَهْرٍ وَأَنْ أَلِيقُ

ما لَاحَ كَلْمٌ بَيْنَهُمْ أَوْ دَمٌ
 كُلُّ بَما اسْتَهْدَى وَأَهْدَى خَلِيقُ
 يَلْقَبُونَ السِّيفَ: ضَلَعَ الصِّفَا
 وَالْمَدْفَعُ الرُّومِي (بَعِيرًا) حَلِيقُ
 وَقَالَ ذُو التَّارِيخِ: مَا شَكَّلُوا
 خَطًّا يُسَمَّى (الرُّمَح) وَ(الْمَنْجَنِيقُ)

قُلْ يَا (ابْنَ مَهْدِي) سِرُّ أَرْضِ الْأُلَى
 تَرَابُهَا تَبَرٌّ وَمِسْكٌ فَتِيقُ
 هَلْ جِئْتَ مِنْهَا مُذْنِبًا؟ مَنَبَتِي
 بِي، ظِلُّ رَحْلِي بِالسَّوَاغِي لَصِيقُ

هل انتقيت الشَّوْطَ مِنْ بَدَنِهِ؟
أَوْ انتقاني قَبْلَ أَنْ أُسْتَفِيقَ!!
عليه بَارَيْتُ الدُّجَى وَالضُّحَى
عَلَى وَافَى كُلِّ تَلٍّ سَحِيقٍ
حَمَلَتْهُ هَمِّي، تَحَمَّلَتْهُ
وَحْدِي، وَأَرَدَفْتُ الضَّنَى وَالرَّفِيقُ
وَكَانَ يُصْغِي مِنْ شِفَا مَنْكِبِي
إِلَى أَنْيْنِ الْمُنْحَنِ وَالْمَضِيقِ

والآن كيف اخترت ما تبتدي؟
من أين يا (دأمي) يعومُ الغريقُ
هل انثني من آخر المنتهى؟
إلى هنا، أبلغتُ ما لا أطيعُ
أرقتُ كأسَ العمر، مَنْ ظنَّني
رحلتُ أستسقي ونبي دفيق؟
من نهركَ الظَّمان يا موطني
نسيتُ أخرى تشتهي من يريقُ
لأنك استوطنتَ مُستنقعاً
والأهل طُرّاً ما يبلون ريقُ

يا (دجلةَ الخير) أ (قُطْرُبُلُ)
بُعِيدَ ذَوْقِي تَصْطَفِي مِنْ تُذِيقْ
هل تستضيفُ (الساجعات) التي
تَحِمُّ، تنأى عن ذواتِ الزعيقِ؟

أنكرتُ ما يُدعى (عراقاً) بلا
عِرْقٍ وَيَمَمْتُ (العراق) العريقُ
ذاك الذي في الكُتُبِ مِنْ أَنْجِمِ
وَمِنْ بَرُوقِ، ذا خِداعِ البريقِ
تلك رُبِّي تُرْخِي عَلَيْهَا السَّمَاءَ
عمائماً خُضْراً وظللاً وَسِيقِ

هنا المغاني، وقباب السنّا
 والبيدُ والبحرُ الزُّلالُ الغَمِيقُ
 و(قيصريُّون) و(صوفيَّةٌ)
 و(مثنويُّون) وأصحابُ (نيق)
 كؤوسُ (كسرى) وعيونُ (الطِّبا)
 (جوامع الزورا) و(دير العنيق)
 لا تسكت الحادي لشاد كما
 (وفيقةٌ) يميني ثنِّي (وفيق)

(جواهري): هل ذلك (الزَّاب)؟ سَلْ
 (ياقوت) وانظر (عمدة ابن الرشيْق)
 إِلَيْكَهَا (سِينِيَّةُ الْبُحْتَرِيِّ) (٢٤)
 واستنطق (ابن الجهم)، نِعَمُ النَّطِيقِ
 لَا الْجِسْرُ يَبْدُو، لَا (عَيُونُ الْمَهَا)
 قُلْ عَنْهُ عَنْ عَهْدِ (الْمَهَا) مَا يَلِيقُ
 هُنَا (دُجِيلٌ)، مَجْلَسُ (الْمَرْتَضَى)
 يَضِيءُ مِنْ خَلْفِ الشُّحُوبِ الرَّقِيقِ
 وَ(حَصْنُ مَعْنٍ) قَبْلَ أَنْ تَدْنِي
 لَا قَاكَ طَلَقاً أَرِيحِيّاً عَبِيقُ

(٢٤) سِينِيَّةُ الْبُحْتَرِيِّ فِي وَصْفِ إِيْوَانَ كَسْرَى، وَقَبْلَ الْوَصُولِ إِلَى الْإِيْوَانِ كَشَفَ

تَجْرِبَتَهُ مَعَ بَنِي الْعَمِّ فِي الشَّامِ وَالْعِرَاقِ قَائِلاً:

وَكَأَنَّ الزَّمَانَ أَصْبَحَ مَحْمُولاً هَوَاهُ مَعَ الْأَخْسِ الْأَخْسِ

وَاشْتَرَانِي الْعِرَاقُ خُطَّةً غُبْنٍ بَعْدَ بَيْعِي الشَّامَ بَيْعَةً وَكُسٍ..

أَمَّا (ابْنُ الْجَهْمِ) فِي نَفْسِ الْبَيْتِ فَهُوَ صَاحِبُ الْقَصِيدَةِ الشَّعْرِيَّةِ، مَطْلَعُهَا:

عَيُونُ الْمَهَا بَيْنَ الرِّصَافَةِ وَالْجَسْرِ ... جَلْبَنُ الْهَوَى مِنْ حَيْثُ أَدْرِي وَلَا أَدْرِي.

كيف تلقانا (العتاهي)؟ كما
 يَبِيضُ صَبْحٌ فِي احْمَرَارِ (الشقيق)
 كان يُناجي (عُتْبَةً) مَازِقاً
 كأسُ الهوى بالموتِ أَعْنَى مُذِيقِ
 لِدُوا لِإِتْخَامِ الردى، واعمروا
 أعلى لتسمينِ الخرابِ المحيقِ (٢٥)
 ماذا اعتري إِبَّانٍ أَوْ صَيْتُهُ
 عنها ارتحلُ ما دمتَ خِفّاً طَلِيقُ
 وضاعَ نُصْحِي فِي تَأْوِيلِهِ
 كما يَضِيعُ (السمنُ) بين (السَّوِيقِ)
 يخافُ ماذا؟ أن يرى (جعفراً)
 والأهلُ تحت (السَّيفِ) لحماً سَلِيقُ

(٢٥) إشارة إلى مطلع قصيدة عتاهية: لِدُوا للموت وابنوا للخراب ... فكلكمو
 يصير إلى يباب.

هل (دعبلُ) في (جُبَّةِ ابن الرضا)
 غيرُ (الخزاعي)؟ بل كترُكي أنيقُ
 تمشي به الساحاتُ سكرى كما
 يمشي برَّحلٍ (العشميِّ) الفنيقُ (٢٦)

(٢٦) الفنيق: من الجمال العظيمة الخلقة العالية القوائم، إذا حمل سار راقصاً على طول المسافة، وكان يملك هذا النوع من الأبل بنو (عبد شمس) الأغنياء، الذين نحت اللغويون تسميتهم من الاسمين فقالوا: (عشمي) و(عباشمة وعبشميات) للتأنيث.

وكان يهوى سِين (نُعمى) إذا
 غنّت: (سَلُوا) أو سَمَّت السُّوقَ (سِيقَ) (٢٧)
 يُنَى إلى (أهلِ الكِسا) مثلها
 يُنَى إلى شُطَّار (بيت الرِّزِيقِ)

(٢٧) سيق: روى الأصفهاني في «الأغاني»، والأبشيهي في «المستطرف»، أن الجاحظ تقياً شجرة في مدخل البصرة وكان أمامه أعرابي يستنسب ويستسمي كل ما رأى وكان على هيئة حسنة، ولما مرّ أحدهم قال: يبدو لي أنك حسن الطالع فما اسمك؟ قال: جميع البشر الحمد لله كل الناس ذو طالع حسن.

فقال الأعرابي: أتهزأ بي؟ فقال: لا والله ولكن كل الناس عبيد الله وأنا واحد منهم عبد الله. وكان على إثره رجل آخر فتهيأ للرد المفحم كالأول، فابتدره سائلاً: وأنت يا ابن أُمي ما اسمك؟ فأجاب بغباء: كلنا حمامير الله. فضحك الأعرابي وأضاف: وما مفرد اسمك منهم؟ قال: حمزة، فضحك الأعرابي من محاكاة الغبي الأذكاء، وجاء الثالث فغيّر الأعرابي الأسلوب فسأل الآتي: من أين جئت؟ أجاب: من السيق الذي تسميه العامة السوق، فرد الأعرابي أصابت العامة وأخطأت أنت. قال أنا وحدي، أما هذه تسمية بني بجيلة؟!

انظر (أبا الشَّيْص) الدُّنَا، وانثنى

عنا، توارى كالجبانِ الْمُطِيقِ (٢٨)

ما كان يوماً (أطلساً مائثاً)

أُنِّي لَهُ بعد القُوَى أن يَمِيقَ؟

سامرت (بشاراً): أأنشدتهُ؟

غَنَّتْ (ملاَّبُ): لا تُلْمِني (عتيقُ) (٢٩)

هل قام كـ (المهدي) يلي أمركم؟

أطغى وأغرى بالنجيع الهريقُ

(٢٨) الْمُطِيق: عند الخوارج هو الذي يقدر على حمل السلاح إلى مكان

القتال، فليس له عذر للعود، وإلا فسوف يُسَمَّى (فُعدي) يوصي غيره بالعمل ويتخلَّى عنه فهو قعدي عن جن لا عن عجز لأنه مُطِيق.

(٢٩) عتيق: مطلق فريدة لعمر بن أبي ربيعة في أهم نقاد عصره (ابن أبي

عتيق) الذي رآه مشتبكاً بحالة غزلية ولما عرف أنه رآه بعث إليه قائلاً:

لا تلمني عتيق حسبي الذي بي إن بي يا عتيق ما قد كفاني.

أَمَّا جَمُوعُ الشَّعْبِ مِنْذُ ابْتَدَتْ
 مَطِيَّةُ الْأَعْتَى جَوَابُ النَّعِيقِ؟
 فكم على أكْداسِ أَشْلَائها
 رَقَى (حمارٌ) لَا يُجِيدُ النَّيْقَ؟
 مَنْ ذَا رَأَى (وَالِبَةً)، قَلَّ رَأَى
 (موسى) إِلَيْهَا ارْتَدَّ مِنْهَا أَبِيقُ (٣٠)

(٣٠) إشارة إلى قول بشار في هجو موسى بن المهدي والمهدي:
 أبدلنا الله به غيره ودسَّ موسى في حشا الخيزران
 والخيزران هي أم موسى الهادي، فدعا له بالرجوع إلى حيث كان جنيماً
 لكي ينضج.

انْظُرْ (مطيعاً) مَرَّ مَا قَالَ مَنْ
هذا: أَلَا يَبْدُو أَسِيفاً أَرِيقُ؟
مَا عَدْتُ مِنْ لَاقِي زَمَانًا، رَأَى
ثَوْباً رَتِيقاً فَوْقَ عُودٍ رَتِيقُ
وَأَنْتَ مَاذَا شَامَ؟ عَظْماً خَلا
مِمَّا بِهِ إِلَّا صَفِيرُ الصَّفِيقِ

قل: هل زكا عشقُ (النَّوَاسِي)؟ لهُ
 رأسٌ عريضٌ فوق جِدٍّ دَقِيقُ
 غَنَى (جِنَانُ) فاحتسَّتْ ما شدا
 صفوًا، وقالتْ: ما بوَدِّي أفيقُ
 كيف ارتدى (المثلي) ضنا (عروة)؟
 أضْحَى بذاتِ القُرْطِ أضْنَى عَلِيقُ (٣١)
 سَمُوا هواهُ الأَثْوَى: (ثورةً)
 شَوَتْ زفيرَ البحرِ فوق الشَّقِيقِ

(٣١) المثلي: هو الذي يعشق فرداً أو أفراداً من جنسه من الجنسين فيُسَمَّى (مثلي) لتعلقه بمثله، وقد كرَّر النواصي الأفاويل في مذهب الغلmani مشنعاً على المرأة اختلاف عوائدها والمستور منها.. وحين تحول إلى العشق السوي أحدث استغراباً لأنه ليس رداء العشاق المشهورين ك: عروة بن حزام، عشيق (عفراء)، فات هذه السطور الإيماء إلى بعض أسامي الشعراء الواردة في القصيدة مثل: أبي الشيص الخزاعي وإبان بن عبد الحميد اللاهقي، الذي كان منقطعاً للبرامكة وكان شاعراً مجيداً نظم كتاب «كلية ودمنة» من النثر الفارسي إلى الشعر العربي، وكان نظمه أجمل بياناً وأكثر إلماحاً إلى طبائع الحيوان، حتى اشتهر ديوانه عن كلية ودمنة، على الكتاب الأصل الذي سبق إلى ترجمته ابن المقفع .

والتأعتِ (الزوارا) هتافاً بها
أعلتِ ضفافُ (الكرخ) غيرَ النقيقِ
وقيل: ركباً الهوى والمنى
تؤمُّها من كلِّ فجٍّ عميقٍ
مثلُ (جنانٍ) تبتغي أن ترى
حيالها في كلِّ آنٍ عشيقٍ

(جواهري): هل ذا (عراقُ) الرِّجاء؟
أجل: وأدعو ذلك خبأً صفيقٍ
خلّفتَ عصرَ الكهرباء والوباء؟
وعُدتُ أحفى بالزمانِ الصديقِ
غنيتَ (بغداد) على (دجلة)؟
وكنْتُ والأمواجُ نخشى الحريقِ
هنا التظى داعي القُفول: انطلق
وأنتَ مجري أنتَ، واسمُ المعيقِ

مَنِ المَنادي؟ طَقَّ صَخْرانِ عَن
صَخْرِ لَه دَكْتورَةٌ فِي الطَّقِيقُ؟
وَقالت الرِّيحُ: عَلى رِيشَتِي
سافِرُ، وَخَذْ زاداً بِهذا الِورِيقُ (٣٢)
إِلى التَّلَاقِ سَوفِ آوِى، إِلى
(صَنعاً) وَمالِي أَيُّ مَأوًى وَثِيقُ
ما فِي انتِظارِ غَيرُ (وَجِى) بَلا
قَلْبُ، وَلِى قَلْبٌ عَليه شَفِيقُ
لَأَني مَن مَوطِني كَلَّه
لا مَن بَنى بَيتٍ ولا مَن فَرِيقُ

١٩٩٧م.

الوطنُ النافر من ذاتيَّته

إليك آتي منك يا موطني
لا القربُ أدناني.. ولا أدني

من داخلي أجترني داعياً:
يا أمَّ أخبارِ العُنى عَنعِنِي

إليَّ صادقتَ الحصى والكَلَا؟
أضحتُ بُنيَّاتي وأغلى بني

ساجلتُ أطيَّارَ الأصيلِ البُكا
كشفتُ يا حيَّاتٍ عن مكمني

تأبطتني الرِّيحُ، لا هاتِفُ
قال اهبطي (صنعاء) ولا عَدَنِي

هل تُحسِنين الآن نثري على
طينِ الحمى؟ أرجوكِ أن تُحسِنِي

من قال يا جيدي تَسْفِينُ معي
شهرًا، ويا جمجمتي هَمَدَنِي

فقلتُ يا بيدُ اُكْتُبِي رحلتي
وعنوني أدغالها عنوني

أقلتَ: أوكارُ الدجى جُبَّتِي
فهل شروخُ المنحى مسكني؟

مِنْ أَيْنَ يَأْتِي الْحُزْنَ، قَلْ هَلْ أَنَا
أَدْمَنْتُهُ، أَوْ أَنَّهُ مُدْمِنِي؟

عنوانهُ وَشَمُّ عَلَى جَبْهَتِي
وَعَنْهُ أَضْنِي الْبَحْثَ فِي مَخْزَنِي

يَا هَذِهِ الصَّفْرَا الْعَجُوزَ الَّتِي
أَدْعُوكِ بَيْتِي: حَانَ أَنْ تُغْصِنِي
وَكَيْ تُغْنِيَّ كَالصَّبَايَا غَدًا
لِلصَّيْفِ، مِنْ قَلْبِ الشِّتَا دَنْدَنِي
وَحَارِبِي، كَيْ لَا تَمُوتِي سُدًى
وَكَيْ يَمُوتَ الْمَوْتُ، لَا تَجْبِنِي

كيف أدَّرَعْتَ الصَّمْتَ يا صاحبي؟

عرفتني فيه، ومنْ مَعَدني

سوف ترى في شَطِّ وجهي فمًّا

وسوف تستفتيه عن مُدْعني

أما أنا غنيتُ، لا غرَّني

مُسْتَحسني، لا ارتاح مُسْتَهجني

وكنت إذ أدعو، تنادي معي:

يا ربح لبي، يا ربِّي أمني

إليك أشكو، وتنوش المدى
بجناً عن الأهدى إلى مطعني
أمس التقينا اثنين في واحدٍ
ك اثنين: ذا يمضي، وذا ينثني
الآن نمضي من هنا واحداً
نموتُ يوماً.. ولا ننحني
هذا الذي تبديه يخفى غداً
لأنَّ غيري، بات مُستوطني
ماتَ الذي شيدني والحمى
وقام من في كفِّه مدفني
تبكي على الدار التي هدموا؟
أبكي على بيتي الذي ما بُني

أبكي على مَنْ؟ لا رفاقي ولا
أهلي.. سوى هذا الأسي المزمِنِ

على ربيعِ العُمَرِ، ما مرَّ بي
وربما وافى، ولم يلْقني

لو مرَّ بي طيفُ الصبا هائناً
كي أدَّعي فقدَ الزمانِ الهني

هل اسمُ ذاك الغور (ميمونة)؟
أو اسم ذاك السفح (عبدالغني)؟
هل كان ذاك الجذعُ أمّاً هَوَتْ
أطفالها، كالجدولِ المُثخنِ؟

هل الحصى هذا عيونٌ ذَوَتْ؟

هل قال جيلٌ: هذه أعيني؟

هل عشبُ ذا الوادي لُحى (تبع)

مهوى (ثمود) أو هوى (مدین)؟

هل (ذو نواسٍ) ذابَ في البحر؟ قلْ

: مَنْ رَدَّهُ اليومَ فتىً مقبني؟

يا ذلك (القات) المنيع الحمى

هل أنت من (حدنان) أو مَوْسَنِي؟

ما زرتني يوماً، إليك اخترقُ

سُوري، وخذ خمسين من أغصني

من ذا يُنادي: يا قَطَا، يا سُرى
رَكْبِي، وعند المُستقى يَمْنِي
إن كُشِّرَ المشتى ونادى: خذوا
مِنْ عَوْجِي، قولي: خذوا سَوْسَنِي

فَمَدَّ صَقْعُهُ جِيدَهُ سَائِلًا:
مَنْ كُنْتُ أُدْعَى فِي الزَّمَانِ السَّنِيِّ؟
كَمْ مِنْ رَفَاقِي فِي حَشَاكَ انْطَوَوْا؟
سَلِ الْخُجَايَا فِيكَ: مَنْ تَقْتَنِي؟
تَكَاثَرُوا حَتَّى مَحَا بَعْضُهُمْ
بَعْضًا وَأَعْيَا مُظْهِرِي مُبْطِنِي
انْظُرْ، زَرَعْنَاهَا قُلُوبًا وَمَا
رَفَّتْ؟ وَلَا أَوْحَتْ مَتَى نَجْتَنِي

يا هذه الأرض الوقور اطفري

واستوقدي حزني على مُحزني

أعواد كبريت تلوحين لي

على احتراقي، سافري تسمني

شدي نطاق الثورة، امضي على

جبين شيخ الرعب، كي تأمني

قولي الذي ما قلته واسمعي

أخفي الخفايا، قبل أن تُعني

فبراير ١٩٩٦ م.

البردوني في سطور

* عبدالله صالح البرودني.

* من مواليد عام ١٩٢٩م، في قرية «البردون» بمحافظة
ذمار - اليمن.

* أصيب بمرض الجدري وهو في السادسة من عمره،
ما أدى إلى فقدانه البصر.

* بدأ تعليمه الأولي في قريته، ثم انتقل إلى مدينة
ذمار وهو في التاسعة من عمره، حيث درس القرآن
الكريم وحفظ أجزاء كثيرة منه.

* انتقل للدراسة في المدرسة الشمسية بدمار، فدرس
فيها العلوم الدينية وعلوم اللغة العربية، ومنها بدأ
رحلته نحو الشعر.

* انتقل إلى صنعاء والتحق بالدراسة في دار العلوم بصنعاء، حيث درس علوم القرآن الكريم والفقه والتفسير والحديث والأدب والتاريخ والفكر.. إلخ، وحفظ القرآن الكريم كاملاً واستوعب تفسيره، ثم أصبح مُدرّساً للأدب واللغة في دار العلوم.

* تعرض لبطش الحكم الإمامي وسُجن عدة مرات قبل ثورة سبتمبر ١٩٦٢م الخالدة.

* عمل كمراجعٍ للبرامج ثم مديراً للبرامج في إذاعة صنعاء لسنوات طويلة، وكان له في الإذاعة برنامج فكري أسبوعي بعنوان «مجلة الفكر والأدب»، حيث قدّم منه أكثر من «١٤٢٢» حلقة.

* كان من أوائل مؤسسي اتحاد الأدباء والكتاب
اليمنيين، وانتُخب كرئيس للاتحاد في بداية الثمانينيات.
* شارك في الكثير من المهرجانات والمؤتمرات والندوات
الثقافية والأدبية داخل وخارج اليمن.
* أجريت معه الكثير من المقابلات الصحفية واللقاءات
الإذاعية والتلفزيونية.
* وافته المنية في تمام العاشرة والنصف من صباح يوم
الاثنين ٣٠ أغسطس ١٩٩٩م عن عمر يناهز الـ «٧٣»
عاماً، ودفن بمقبرة خزيمة بالعاصمة صنعاء.
* له مكانة كبيرة في الساحة الثقافية والعربية والعالمية،
احتلها بموهبته الفذة وإبداعه الخلاق وفكره العظيم.

*دواوينه الشعريّة:

١. من أرض بلقيس - ١٩٦١م.
٢. في طريق الفجر - ١٩٦٨م.
٣. مدينة الغد - ١٩٧٠م.
٤. لعيني أم بلقيس - ١٩٧٣م.
٥. السفر إلى الأيام الخضر - ١٩٧٤م.
٦. وجوه دخانيّة في مرايا الليل - ١٩٧٧م.
٧. زمان بلا نوعية - ١٩٧٩م.
٨. ترجمة رملية لأعراس الغبار - ١٩٨٣م.
٩. كائنات الشوق الآخر - ١٩٨٥م.
١٠. رواغ المصاييح - ١٩٨٩م.
١١. جوّاب العصور - ١٩٩١م.
١٢. رجعة الحكيم ابن زايد - ١٩٩٣م.
١٣. رحلة ابن شاب قرناها. (لم تطبع بعد).
١٤. العشق على مرافئ القمر. (لم تطبع بعد).

*دراسات ومؤلفات:

١. رحلة في الشعر اليمني.. قديمه وحديثه - ١٩٧٢م.
٢. قضايا يمنية - ١٩٧٨م.
٣. فنون الأدب الشعبي في اليمن - ١٩٨١م.
٤. اليمن الجمهوري - ١٩٨٣م.
٥. الثقافة الشعبية.. تجارب وأقاويل - ١٩٨٧م.
٦. الثقافة والثورة في اليمن - ١٩٨٩م.
٧. من أول قصيدة إلى آخر طليقة.. «دراسة في شعر الزبيري وحياته».
٨. أشتات - ١٩٩٥م.

*جوائز:

- جائزة أبي تمام - ١٩٧١م.. مهرجان المربد - العراق.
- جائزة شوقي - ١٩٨١م - القاهرة.
- جائزة الأمم المتحدة «اليونسكو»، والتي أصدرت عملة فضية عليها صورته في عام ١٩٨٢م.
- جائزة مهرجان جرش الرابع - ١٩٨٤م - الأردن.
- جائزة سلطان العويس - ١٩٩٣م - الإمارات العربية المتحدة.

*من الدراسات والإصدارات التي تناولت حياته وشعره

- الصورة في شعر عبدالله البردوني - د. وليد مشوح -

سوريا

- بناء القصيدة عند البردوني - محمد أحمد القضاة -

رسالة دكتوراه - الأردن.

- البردوني شاعراً وكاتباً - طه أحمد إسماعيل - رسالة

دكتوراه - القاهرة.

- الأسلوبية عند البردوني - رسالة دكتوراه - الجديري

- جامعة المستنصرية- العراق.

- «من روائع البردوني» - ج ١- إعداد: محمد القعود -

اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين.

*إصدارات تحت الإعداد من إعداد وجمع محمد
القعود:

- في الأدب والثقافة والحياة - كتابات ومقالات
- أحداث وشخصيات.. وأمكنة - دراسات ومقالات.
- جَوَّاب التاريخ والسياسة والثقافة - دراسات ومقالات.
- حوارات البردوني - جزءان.
- روائع البردوني - مختارات شعرية - الجزء الثاني.
- « أسطورة من أرض بلقيس » - دراسات وكتابات عن
شعر وفكر البردوني - مجموعة من النقاد والكتاب -
ثلاثة أجزاء.
- غيمة - مقتطفات ومضات شعرية قصيرة من شعر
البردوني.
- أسرار وخفايا وحكايات في حياة البردوني.
- سفير الأزمنة.